((التفسير الأثري وجدلية المفهوم والمنهج))

إعداد الطالب

أنس خليل خضر شعيبي

المشرف

الأستاذ الدكتور محمد خازر المجالي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع.......... التاريخ...٨/١/١...٢٠١١م

كانون أول ٢٠١٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة (التفسير الأثـري وجدليـة المفهـوم والمـنهج) وأجيـزت بتـاريخ ٢٠١٠/١٢/٩

أعضاء لجنة المناقشـــة

التوقيـــــع

الأستاذ الدكتور محمد خازر المجالي، مشرفاً ....
أستاذ التفسير – الجامعة الأردنية

الدكتور أمين القضاة، عضواً ....
أستاذ الحديث – الجامعة الأردنية

الدكتور جهاد نصيرات، عضواً ....
أستاذ التفسير – الجامعة الأردنية

الدكتور عبد الله الجيوسي، عضواً ....
أستاذ التفسير – جامعة اليرموك

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالـة
التوقيع.......التاريخ.٢٠١١/١/١٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإهداء

إلى التي لم يفارقني دعاؤها. . إلى الحنان مجسداً. . أمي الحبيبة

إلى من كان سبباً في دراستي لخير العلوم. . إلى القدوة الحسنة. . أبي الغالي

إلى رفيقة الدرب وريحانة العمر. . زوجتي العزيزة

إلى الذين يذودون عن دينهم وأوطانهم ومقدساتهم. . المجاهدون

إلى الذين كرسوا جهدهم وحياتهم يسعون للتغير والإصلاح. . الدعاة والمصلحون

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكر وتقدير

إن من لا يشكر الناس لا يشكر الله، فالشكر موصول إلى أستاذي ومشرفي الأستاذ محمد المجالي (أبو جهاد) الذي كان نعم الشيخ المعلم والوالد الموجه، والذي فتح المجال أمامي في خوض غمار هذا البحث الشائك مشجعاً محفزاً، شكر الله له ونفع به.

كما أشكر الأساتذة الفضلاء الذين تفضلوا بمناقشة هذا البحث، فأنتفع بتوجيهاتهم وتصويباتهم القيمة.

كما الشكر إلى من وقف إلى جانبي وساعدني ودعا لي حتى ظهر هذا البحث، من أساتذة فضلاء وطلبة علم كرام وأصدقاء أوفياء.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
قرار لجنة المناقشة	ب
الإهداء	ج
شكر وتقدير	د
فهرس المحتويات	هـ
الملخص	ز
المقدمة	١
الفصل التمهيدي: التعريف بالتفسير ومراحله وأقسامه	٨
المبحث الأول: التفسير والتأويل والفرق بينهما	٩
المطلب الأول: التفسير لغة واصطلاحاً.....	٩
المطلب الثاني: الفرق بين التفسير والتأويل	٢١
خلاصة القول	٢٩
المبحث الثاني: نشأة التفسير وأقسامه والمراحل التي مرّ بها	٣١
الفصل الأول: تحرير مصطلح التفسير الأثري وحدوده	٤١
المبحث الأول: مفهوم التفسير الأثري وأقوال العلماء فيه، تحليل ونقد	٤٢
المطلب الأول: معنى الأثر في اللغة وعند المحدثين والمفسرين	٤٤
الأثر في اللغة	٤٤
الأثر عند المحدثين	٤٥
الأثر عن المفسرين	٤٥
المطلب الثاني: تنوع المصطلح والمؤدَّى واحد؛ وهو مدلولات قولهم: (التفسير الأثري، أو المأثور، أو النقلي، أو تفسير الرواية).....	٤٦
المطلب الثالث: نظرة السابقين لأقسام التفسير المأثور.....	٤٨
كيف أخذ مصطلح التفسير المأثور هذه الصبغة؟	٥٠
المبحث الثاني: دراسة ونظر لما شمله مفهوم التفسير المأثور عند العلماء...	٥٣
المطلب الأول: تفسير القرآن بالقرآن	٥٣
المطلب الثاني: قول الصحابي والتابعي	٦٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حكم تفسير الصحابي ٧٢
المطلب الثالث: تفسير القرآن بالسنة ٧٥
المطلب الرابع: تفسير القرآن بقواعد اللغة العربية ٧٩
المطلب الخامس: التفسير بالقراءات ٨٤
الخلاصة: حدود التفسير الأثري ٨٨
خيرية القرون الثلاثة الأولى وعلاقتها بالمسألة ٨٩
الموقف من أقسام التفسير بالمأثور ٨٩
الفصل الثاني: إشكالات منهج التفسير الأثري من حيث السند ٩٢
المبحث الأول: الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها في قيمة التفسير الأثري.. ٩٣
المطلب الأول: خطورة الروايات الضعيفة في التفسير ٩٧
المطلب الثاني: الوضع في التفسير..... ١٠٠
المبحث الثاني: الإسرائيليات وأثرها في قيمة التفسير الأثري ١٠٤
المطلب الأول: المقصود بالإسرائيليات وكيف تسربت إلى التفسير وتطورت.. ١٠٤
المطلب الثاني: مواقف العلماء من الإسرائيليات وحكْم روايتها ١٠٨
أقسام الإسرائيليات ١١١
المطلب الثالث: خطر الإسرائيليات ١١٣
الفصل الثالث: إشكاليات منهج التفسير الأثري من حيث المتن ١٢٠
المبحث الأول: دلالات الروايات الصحيحة وإشكالاتها في التفسير ١٢١
المطلب الأول: حصر الدلالة بظاهر الأثر فقط ١٢١
أمثلة تطبيقية ١٢٤
المطلب الثاني: تفسير الآية بحديث ليس له تعلّق بها ١٣٢
المبحث الثاني: قضايا التعارض في التفسير الأثري ١٣٨
المطلب الأول: تعارض الروايات التفسيرية ١٣٨
المطلب الثاني: التعارض بين التفسير الأثري والتفسير بالرأي ١٤٠
المطلب الثالث: تعارض التفسير الأثري مع أصل من أصول الدين ١٤٣
الاستنتاجات والتوصيات ١٤٦
المصادر المراجع ١٥٠
الملخص باللغة الإنجليزية ١٦٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

((التفسير الأثري وجدلية المفهوم والمنهج))

إعداد الطالب

أنس خليل خضر شعيبي

المشرف

الأستاذ الدكتور محمد خازر المجالي

جاءت هذه الدراسة على قسمٍ من أقسام تفسير القرآن الكريم ألا وهو التفسير الأثـــري، فتناولت مفهومه والإشكاليات التي تعترض هذا المفهوم ومدى تأثيراتها على واقع التفسير، حيث إن تقسيمات العلماء له واعتباراتهم في هذا التقسيم تقتضي منه ما ليس فيه، فتولـــت الدراســـة ضبط هذا المفهوم الذي يعتريه كثير من الإشكاليات؛ كما تتناول الإشكالات التي عرضت لهـــذا النوع من التفسير من حيث المنهج، وتبرز أثر هذه الإشكالات على اتجاهات بعض المفـــسرين ومناهجهم في كتبهم وتأثير ذلك على منهج فهم القرآن، وعلى الفكر الإسلامي بشكل عام.

ولقد نهجت الدراسة نهجاً استقرائياً لكتب مناهج المفسرين وعلوم القرآن وغيرها، ونهجاً نقدياً تحليلياً يتبيّن من خلاله أن مفهوم التفسير الأثري الشائع فـــي كتـــب التفـــسير ومناهجـــه وعلومه، والذي أصبح من المسلّمات التي لا يُناقَش فيها، محلّ قبول وردّ، بل لا بد من تصفيته مما ليس منه، كما أبرزت الدراسة إشكاليات متعددة تتعلق بالتفسير الأثري، وبيّنت الآراء فيها، وكيف ينبغي التعامل مع بعضها، كالروايات الإسرائيلية والموضوعة والضعيفة، وحصر الدلالة بالمأثور، وقضايا تتعلق بالتعارض وغيرها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقدمة

مشكلة الدراسة:

عطفاً على ما ذكر في ملخص الرسالة فإن المشكلة التي يراد علاجها تكمن في مفهوم التفسير الأثري الشائع في كتب مناهج المفسرين وعلوم القرآن وغيرها، وما تفرَّع عن هذا المفهوم من منهج اتَّسَّم به هذا النوع من التفسير، فجاءت هذه الدراسة لتجيب بإذن الله تعالى عن الأسئلة الآتية:

- ما الإشكالات التي تتعلق بمفهوم التفسير الأثري أو حدوده؟
- ما هي مرتكزات أو محددات هذا المفهوم؟
- هل لا بد للمفسر من أن يلتزم التفسير الأثري ولا يخرج عنه إلى فهم آخر أو حتى مخالفته؟
- ما هي الضوابط التي يمكن اعتمادها لقبول هذا النوع من التفسير؟
- ما أبرز إشكالات التفسير الأثري، وكيف لنا التعامل معها؟

أهمية الدراسة:

تبرز أهمية هذه الدراسة من عدة جوانب:

أولاً: تناولها لعلم التفسير الذي هو أشرف العلوم على الإطلاق.

ثانياً: أهمية الموضوع الذي تبحثه ألا وهو التفسير الأثري الذي يعد أحد المصادر الأساسية في التفسير.

ثالثاً: تعد هذه الدراسة لبنة تضاف إلى الدراسات التي تناولت علماً مهماً ألا وهو "علم أصول التفسير".

رابعاً: مراجعة مفهوم التفسير الأثري وضبطه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خامساً: تعرض الإشكاليات التي تواجه التفسير الأثري من حيث المنهج.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

أولاً: تركيز الضوء على مشكلات مفهوم التفسير الأثري وضبطها، وإبراز المشكلات المتعلقة بهذا النوع من حيث السند والمتن.

ثانياً: إبراز أثر هذه الإشكالات على اتجاهات بعض المفسرين ومناهجهم في كتبهم وتأثير ذلك على منهج فهم القرآن وعلى الفكر الإسلامي بشكل عام.

ثالثاً: تحل هذه الدراسة كثيراً من الإشكاليات التي سببتها بعض الروايات المبثوثة في كتب التفسير والتي أثرت سلباً على منهج فهمنا لكتاب الله عزّ وجلّ.

الدراسات السابقة :

لا يكاد يخلو كتاب من كتب مناهج المفسرين أو علوم القرآن أو مقدمات كتب التفسير إلا وعرضت للحديث عن التفسير الأثري، منها لا على سبيل الحصر:

* الإمام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – قديماً في مقدمته عرض لبعض الحديث عن التفسير الأثري وقرَّر من خلال عرضه أحسن طرق التفسير، والتي صبغت فيما بعد بمفهوم التفسير الأثري، وسيأتي بيان ذلك في ثنايا البحث إن شاء الله.

* "التفسير والمفسرون" للشيخ العلامة الذهبي –رحمه الله تعالى – من الجهود الحديثة الذي عرض لهذا الموضوع وذكر فيه أسباب ضعف التفسير بالمأثور من(ضعف للرواية وحذف للسند و إيراد إسرائيليات)؛ وهذه الدراسة كما هو معروف تقدم بها مؤلفها للحصول على شهادة العالمية من درجة أستاذ في علوم القرآن والحديث سنة ١٩٤٦م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* "التفسير أساسياته واتجاهاته" للدكتور فضل عباس –حفظه الله تعالى– فقد أورد هذه القضية بشيء من التخصيص في كتابه المذكور؛ ومن أبرز ما جاء فيه أنه استثنى قول الصحابي والتابعي من إدراجهما تحت التفسير الأثري، وحدد التفسير بالمأثور بـ (تفسير السنّة و وتفسير القرآن بالقرآن)

* "تعريف الدارسين بمناهج" المفسرين للدكتور صلاح الخالدي –حفظه الله تعالى– حيث أفاض في الحديث عن التفسير بالمأثور، وقد خلص إلى ما سمّاه (التفسير الأثري النظري)، ورفض الدكتور أن يكون تفسير القرآن بالقرآن من التفسير بالمأثور لأنه ليس خاضعاً لمقاييس نقل الروايات وتمحيص الأقوال والأخبار، ويدرج تحته – أي المأثور – ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أو الصحابة أو التابعين.

* "التفسير بالمأثور ومناهج المفسرين فيه" ومن الكتب أيضاً، للدكتور محمد أبو النور الحديدي صقر، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، المركز العالمي لتعليم الإسلامي، مكة المكرمة؛ هذا الكتاب الذي يقع في مائة صفحة تقريباً، تناول فيه مؤلفه معنى التفسير والتأويل وفضله والحاجة إليه والمفسرون من الصحابة والتابعين وقيمة التفسير بالمأثور وتدوين التفسير وأشهر كتب التفسير بالمأثور؛ لكنه عندما جاء إلى تعريف التفسير بالمأثور لم يخرج عما قاله من قبله ومن بعده في الأغلب من كونه تفسير للقرآن بالقرآن وبالسنة وأقوال الصحابة وقول التابعي على رأي، وفي حديثه عن قيمة التفسير بالمأثور وأسباب ضعفه ذكر الأسباب الثلاثة المعروفة من وضعٍ وإسرائيليات وحذفٍ للسند، واكتفى ببيان ذكرها دون أثرها على قيمة التفسير الأثري.

* "فصول في أصول التفسير" للدكتور مساعد الطيار، من أهم الدراسات التي ناقشت مصطلح التفسير الأثري ونقدته.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* "اتجاه التفسير المأثور" لأحمد سليمان، وهي رسالة ماجستير نوقشت في دار العلوم ١٩٨٩م.

* "الفكر التربوي في التفسير المأثور للقرآن" لسامية هاشم، وهي رسالة دكتوراة نوقشت في جامعة مصر ١٩٩٤م.

* «التفسير المأثور»: الاصطلاح والمشكلات والمسارات نحو مجالات العلوم، عبد الرحمن حللي، موقع مسلم أون لاين - الوسطية والشهادة، http://www.moslimonline.com.

* "تفسير القرآن بالقرآن" سعاد كوريم: دراسة في المفهوم والمنهج، على ملتقى أهل التفسير http://tafsir.net

كل هذه الجهود وغيرها مشكورة وذات قيمة علمية ولا شك، وقد كانت عوناً لي في بحثي الذي توسعت فيه على باقي الكتب في هذه القضية بالذات، مع شيء من التحديد والاستقلالية بالدراسة؛ وكان الخلاف واضحاً في حدود التفسير عند علماء التفسير لا سيما المتأخرين منهم؛ وهذه الدراسات على قيمتها إلا أنها لم تتناول الإشكالات المتعلقة بمفهوم التفسير الأثري ومنهج التعامل به وأثرها على قيمته.

وما يميز هذه الدراسة:

- تناقش الأقوال والآراء في مفهوم التفسير بالمأثور وحدوده،
- تعرض لموضوعي اللغة والقراءات وما علاقتهما بالتفسير بالمأثور.
- تضع ضوابط لحدود التفسير الأثري.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- تعرض للمشاكل المتعلقة بالتفسير الأثري من مثل حصر الدلالة بالمأثور، وتعارض الروايات التفسيرية، وتعارض التفسير بالمأثور مع التفسير بالرأي، وتفسير الآيـــة بحديث ليس له تعلق بها، وتعارض التفسير المأثور مع أصل من أصول الدين.
- تتبنى هذه الدراسة موقفاً موافقاً للذين حاربوا الإسرائيليات بكل تقسيماتها المعهودة.

منهج البحث:

تعتمد هذه الدراسة المنهجية التالية:

* المنهج الاستقرائي: ويقوم على جمع أقوال العلماء في مفهوم التفسير بالمأثور وعلى استقراء الروايات التفسيرية من كتب التفسير والحديث، وبيان ما أثاره بعضها من إشكالات.

* المنهج التحليلي النقدي: الذي يقوم على دراسة الآراء وتحليلها ثم نقد الأقوال المتعلقة بمفهوم التفسير الأثري والروايات التي جُعلت تفسيراً لبعض الآيات.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هيكلية البحث:

وقد جاءت الدراسة في أربعة فصول وخاتمة على النحو الآتي:

* **الفصل التمهيدي:** التعريف بالتفسير ومراحله وأقسامه

المبحث الأول: التفسير والتأويل والفرق بينهما. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التفسير والتأويل لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: الفرق بين التفسير والتأويل.

المبحث الثاني: نشأة التفسير وأقسامه والمراحل التي مرَّ بها.

* **الفصل الأول:** تحرير مصطلح التفسير الأثري وحدوده

المبحث الأول: مفهوم التفسير الأثري وأقوال العلماء فيه؛ تحليل ونقد. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى الأثر في اللغة وعند المحدثين والمفسرين

المطلب الثاني: تنوع المصطلح والمؤدَّى واحد

المطلب الثالث: نظرة السابقين لأقسام التفسير المأثور

المبحث الثاني: دراسة ونظر لما شمله مفهوم التفسير المأثور عند العلماء. وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تفسير القرآن بالقرآن

المطلب الثاني: قول الصحابي والتابعي

المطلب الثالث: تفسير القرآن بالسنة

المطلب الرابع: تفسير القرآن بقواعد اللغة العربية

المطلب الخامس: التفسير بالقراءات

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* **الفصل الثاني:** إشكاليات منهج التفسير الأثري من حيث السند

المبحث الأول: الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها في قيمة التفسير الأثري. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: خطورة الروايات الضعيفة في التفسير

المطلب الثاني: الوضع في التفسير

المبحث الثاني: الإسرائيليات وأثرها على قيمة التفسير الأثري وجدواه. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المقصود بالإسرائيليات وكيف تسربت

المطلب الثاني: مواقف العلماء من الإسرائيليات وحكم روايتها

المطلب الثالث: خطر الإسرائيليات

* **الفصل الثالث:** إشكاليات منهج التفسير الأثري من حيث المتن

المبحث الأول: دلالات الروايات الصحيحة وإشكالاتها في التفسير، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حصر الدلالة بظاهر الأثر فقط

المطلب الثاني: تفسير الآية بحديث ليس له تعلق بها

المبحث الثاني: قضايا التعارض في التفسير الأثري، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعارض الروايات التفسيرية

المطلب الثاني: التعارض بين التفسير الأثري والتفسير بالرأي

المطلب الثالث: تعارض التفسير الأثري مع أصل من أصول الدين

- ✓ **الخاتمة:** النتائج والتوصيات

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل التمهيدي

التعريف بالتفسير ومراحله وأقسامه

وفيه مبحثان:

* **المبحث الأول:** التفسير والتأويل والفرق بينهما. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التفسير والتأويل لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: الفرق بين التفسير والتأويل.

* **المبحث الثاني:** نشأة التفسير وأقسامه والمراحل التي مرَّ بها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الأول: التفسير والتأويل والفرق بينهما:

المطلب الأول: التفسير والتأويل لغة واصطلاحاً.

لقد بحث العلماء هذه المسألة، وأقوالهم فيها كثيرة، وقبل ذكرها فمن البداهة أنه بالرجوع إلى القرآن الكريم، نجد أن لفظة **التأويل** ومشتقاتها قد تكرر ذكرها أكثر من لفظة **التفسير**[1]، وسيأتي بيانها في المبحث الآتي –إن شاء الله تعالى.

التفسير لغة: بالرجوع إلى مادة "**فسر**" وتصريفاتها في معاجم اللغة، نجدها تقوم على معاني النظر والكشف والبيان والتوضيح والإظهار.

فعند ابن فارس: "فسر": "الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان الشيء وإيضاحه، من ذلك الفسر، يقال: فسرت الشيء وفسرته، والفسر والتفسرة نظر الطبيب إلى الماء وحكمه فيه"[2]؛ وحول هذا المعنى دار لفظ التفسير عند أغلب اللغويين، وعليه قالوا: التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل[3].

---

[1] إذ لم يرد ذكر التفسير سوى مرة واحدة في سورة الفرقان، في حين وردت لفظة التأويل سبع عشرة مرة في ثلاث عشرة آية في عددٍ من سور القرآن الكريم بمعانٍ متباينة ومتفاوتة حسب السياق الذي وردت فيه.

[2] معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق شهاب الدين أبو عمر، ص: ٨٤٧، دار الفكر، بيروت ١٤١٤هـ.

[3] انظر: مادة "فسر" في لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري، ١٨٠/١١، ط/٤، ٢٠٠٥م، دار صادر، بيروت؛ الصحاح، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق شهاب الدين أبو عمر، ٦٣١/١، دار الفكر، ط/١٩٩٨، بيروت، ١٤١٨هـ؛ كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، ص: ٧٤٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م؛ القاموس المحيط، لابن عمر الشيرازي الفيروز أبادي، ترتيب حسان عبد المنان، ص: ١٣٢٢، بيت الأفكار الدولية، لبنان، ط/٢٠٠٤م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفسر مقلوب من "سَفَر" كما بيّن الراغب، ومعناه أيضًا الكشف، يقال: "سفرت المرأة سفورًا، إذا ألقت خمارها عن وجهها وهي سافرة، وأسفر الصبح أضاء"[١].

والتفسير: "تفعيل من فسرت النُّورة إذا نضحت عليها الماء؛ لتنحلّ أواخرها، وينفصل بعضها من بعض، وكأن المفسر يفصل أجزاء معنى المفسَّر بعضها من بعض، حتى يتأتى فهمه، والانتفاع به، كما أن النُّورة لا يتهيأ الانتفاع بها إلا بتفصيل أجزائها بتفسيرها"[٢].

مما سبق يتبيّن أنه لم يرد مصطلح التفسير في اللغة خاصًا بالقرآن، ولكنه شاع واشتهر فيه، فإذا أُطلق يكون المراد منه: بيان المعنى الذي يقصده القرآن، سواء أكان ذلك حقيقة أم مجازًا، غير أن بعض العلماء مَن جعل التفسير خاصًا بالحقيقة دون المجاز كما سيأتي، والحق أنّ جلّ المفسرين إنْ لم يكن كلّهم على أنّ المراد بالتفسير في قوله تعالى: {وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا} [الفرقان:٣٣]، مطلق البيان والإظهار والتكشيف[٣].

---

[1] المفردات للراغب الأصفهاني، تحقيق نديم مرعشلي، ص: ٢٧، دار الكاتب العربي، ط/١٣٩٢هـ-١٩٧٢م؛ وانظر: البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ١٦٣/٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

[2] الإكسير في علم التفسير، للطوفي سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الصرصري البغدادي، تحقيق الدكتور عبد القادر حسين، ص: ١ - ٢، مكتبة الآداب، مصر؛ و**النُّورة**: هي الحجر الذي يحرق، ويسوى منه الكلس، ويحلق به الشعر، (انظر: اللسان، مادة نور، ٣٨١/١٤)

[3] انظر: هذه المعاني في تفسير الآية في: جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، (٢٢٤ - ٣١٠ هـ)، ٢٦٧/١٩، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م؛ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨)، ٢٨٤/٣، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط/١، ١٩٩٧م؛ التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، (٥٤٤ - ٦٠٤هـ)، ٧٢/٢٤، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م؛ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الآلوسي أبو الفضل، ١٦/١٩، دار إحياء التراث العربي - بيروت، د ط؛ التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ٢٣/١٩، دار سحنون، تونس،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التفسير اصطلاحًا:

صرح أبو حيّان (ت ٧٤٥هـ) بأنه لم يقف لأحد من علماء التفسير على رسم لـه – أي تعريف التفسير[١]. ويبدو أنه قصد بعض المفسرين الذين وقع على مؤلفاتهم في زمانه إذ ذاك؛ فإن بعض المفسرين ذكروا في مقدمات كتبهم تعريفًا للتفسير، ويدور كلام المفسرين والعلماء في معنى التفسير على أقوال، أهمها:

١. عرفه البغوي (ت ٥١٦هـ) بقوله: "هو الكلام في أسباب نزول الآية وشأنها وقصتها، ويكون بالسماع عن طرق النقل"[٢]. ويلاحظ أنه حصره بالمأثور (المنقول).
٢. عرفه ابن جزي (ت٧٤١هـ) يقول: "شرح القرآن وبيان معناه، والإفصاح بما يقتضيه بنصه أو إشاراته أو فحواه"[٣].
٣. عرفه الخازن (ت ٧٢٥هـ) بأنه: شرح المفردات والألفاظ الغريبة"[٤].

ط/١٩٩٧م؛ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، للقاضي أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي (٩٨٢هـ)، ١٠/٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ١٩٩٩م؛ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لأبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، ص: ٤٨٠، دار الجيل، بيروت، دط؛... وغيرهم من المفسرين – رحمة الله عليهم جميعًا؛ ويُلاحظ أن عامة اللغويين قد أشاروا إلى أنّ المفسر كالطبيب الذي ينظر في المادة المخبرية أو الماء ويشخص المرض، وكذلك ينظر المفسر في الآية ويكشف عن شأنها ومعناها، كما ينظر في الأمة ويبين أمراضها ومشكلاتها ويكشف لها الحلول والعلاجات من القرآن الكريم، وهذه لفتة في غاية الدقة إذ أهل القرآن هم حاملو راية الإصلاح والنهوض بالأمة من مرضها.

[1] البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي، ٢٦/١، بعناية الشيخ عرفات العشا حسونة، دار الفكر، ط/١٤١٢هـ – ١٩٩٢م

[2] معالم التنزيل، (تفسير البغوي): لأبي محمد بن مسعود الفراء البغوي، ٤٦/١ تحقيق وتخريج محمد عبد الله النمر، وعثمان ضميرية، وسليمان الحرش، دار طيبة للنشر، الرياض، ١٤٢٩هـ

[3] تسهيل السبيل لعلوم التنزيل، (تفسير ابن جزي الكلبي)، لمحمد بن أحمد بن جزي الكلبي، ١١/١، تحقيق، محمد عبد المنعم اليونسي، وإبراهيم عطوة عوض، دار الكتب الحديثة، القاهرة.

[4] لباب التأويل في معاني التنزيل، (تفسير الخازن)، لعلي بن محمد البغدادي المشهور بالخازن، ١٤/١، ت(٧٢٥هـ) مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط/٣، ١٣٧٥هـ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤. وبعض علماء اللغة استقوا من أصل الكلمة وجذرها في اللغة "فسر" تعريفًا اصطلاحيًا للتفسير فقالوا: "هو بيان وتفصيل للكتاب، أو كشف المراد عن اللفظ المشكل"[١].

٥. وقال الجرجاني: التفسير "توضيح معنى الآية، وشأنها، وقصتها، والسبب الذي نزلت فيه، بلفظ يدل عليه دلالةً ظاهرة"[٢].

٦. ولكن أبا حيان إنما أراد وقصد إلى تعريف التفسير تعريفًا حدّيًّا شاملاً يندرج تحته أكثر من جانب من الجوانب التفسيرية، ولذا عرفه بأنه: "علم يُبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي عليها حالة التركيب وتتمات لذلك الكلام "[٣].

لعلّ الناظر يلحظ تطورًا واضحًا في تعريف العلماء لهذا المصطلح حسب حاجة العصر وتطور العلوم، إذ من المعلوم أن العلوم الشرعية في زمن أبي حيان كانت قد استقلت في فروع مستقلة وصارت الأمور أكثر وضوحًا واستقرارًا فكان هذا التعريف؛ وقد تفي تعريفات العلماء السابقة ببيان معنى التفسير وبخاصة الدلالة اللغوية فيه كما مرّ بيانه عندهم، وهنا نظروا إلى كونه علمًا أُضيف إلى القرآن الكريم، والتعريف كما هو ظاهر يبين الوسائل التي يجب على المفسر أن يتبعها في التفسير، فالتعريف بمنزلة القواعد للمفسر، والمرشد له إلى الطريقة التي لا يصح التفسير إلا بها، ويتبين من خلال هذا التعريف بعض علوم القرآن

---

[1] كتاب العين للفراهيدي ص: ٧٤٣؛ لسان العرب مادة "فسر" ١١/١٨٠؛ القاموس المحيط ص: ١٣٢٢

[2] التعريفات، لعلي بن محمد السيد الحسيني الجرجاني، تحقيق وتعليق الدكتور عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت، ط/١، ١٤٠٧هـ

[3] البحر المحيط، ٢٦/١؛ ومذكور في تأويلات أهل السنة، للماتريدي، ١/١، تحقيق فاطمة يوسف الخيمي، مؤسسة الرسالة، ط/١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م، والتعريف لها؛ وانظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي، ١٦٢/٢ – ١٦٩، دار إحياء الكتب العربية، ط/١، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م؛ وانظر: الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي، ١١٨٩/٢ – ١١٩١، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط/١، ١٤٠٧هـ– ١٩٨٧م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكريم، بالتالي ينبغي التفريق بين ما يسمى **تفسير القرآن** وبين **علوم القرآن**. وبناء على هذا التعريف، فإن كل نشاط أو جهد يقوم به إنسان في سبيل تلك المدلولات والأحكام... إلخ، هو نشاط تفسيري[١].

٧. إلا أن بعض العلماء لم يكتفوا بهذه التعريفات ومالوا إلى صياغة تعريفات جديدة ربما تكون أدق دلالة وأشمل مما سبق، فعند ابن عاشور – رحمه الله تعالى – التفسير: هو "اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن وما يستفاد منها باختصار أو توسع"[٢].

٨. وقد استخلص الدكتور صلاح الخالدي أن تفسير القرآن "علْم يتم به فهم القرآن، وبيان معانيه، والكشف عن أحكامه، وإزالة الإشكال والغموض عن آياته"[٣]. وهذا التعريف فيه توظيف للمعنى اللغوي في إضافته للقرآن، وهو صنيع غالب العلماء، ولعل هذا الأمر مرتبط بدلالة اللفظ واستعمال العلماء له، إذ إن مصطلح التفسير إذا أُفرد صار له دلالة واضحة على بيان معنى القرآن؛ واستُعمل لتفسير غير القرآن – من النصوص اللغوية والفلسفية حتى الأحاديث النبوية – مصطلح الشرح والتفصيل. ولعل هذا من عناية

---

[1] انظر: دراسات في علوم القرآن والتفسير، د. أحمد مفلح القضاة، ص: ٢٤١، منشورات جمعية المحافظة على القرآن الكريم، الأردن، ط/٢، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م

[2] تفسير التحرير والتنوير، للإمام محمد الطاهر بن عاشور، ١١/١، دار سحنون، تونس، ط/١٩٩٧م؛ ونحوه: ذهب الدكتور محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ١٥/١، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م؛ وانظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، ٣٣٦/١، تحقيق الشيخ أمين الكردي، دار إحياء التراث العربي، ط/٢، بدون سنة طباعة.

[3] تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص: ٢٤، دار القلم، دمشق، ط/١، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م؛ وفي حديثه عن معنى التأويل ص: ٢٦ كرر العبارة نفسها ولكن قال: "إزالة الإشكال والغموض عن (بعض) آياته"، وفي لقاء مع الشيخ في بيته سألته عن هذا فبيّن أنّ هناك بعض الآيات تحتاج إلى غوص واستنباط وفيها يكون التأول وليس كل الآيات تحتاج إلى تأويل.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

علماء المسلمين وتقصدهم إلى إفراد القرآن بشيءٍ من الخصوصية والتمايز عن سائر النتاجات البشرية.

٩. أقرب تعريف رأيته هو ما ذهب إليه الدكتور صلاح، كما أنه من المهم بيان أنّ التفسير عبارة عن "عملية" يتم من خلالها الكشف والبيان عن الألفاظ والجمل؛ ولو أُريد تخصيص كلام الله "بالتفسير" دون غيره فلا بأس في ذلك؛ والله أعلم[١].

وفي هذا السياق لا بد من الإشارة إلى أن بعض الكتاب اعترضوا على ما سبق من استشهاد بالآية الكريمة من سورة الفرقان، فمصطفى بو هندي عدّ كل ما سبق في استعمال معنى التفسير بالمعنى الاصطلاحي، لا سيما لفظة التفسير الواردة في سورة الفرقان، والمقصود بها في نظره، ليس ما اصطلح عليه العلماء والمفسرون قديمًا وحديثًا.[٢]

إلا أن التفسير، باعتباره بيان الشيء أو كشف المراد من اللفظ أو كشف المغطى، يثير بذهن المؤلف، مشاكل معرفية ومنهجية كثيرة، تعطي الانطباع كما لو أن القرآن ليس مبينًا

---

[١] وهذا البيان قد يكون بآية، وقد يكون بتفسير نبوي، وقد يكون بسنة عامة، وقد يكون بسبب نزول، وقد يكون باللغة، وقد يكون بذكر قصة الآية، وقد يكون بإبداء المفسر رأيه واجتهاده، وغيرها من المصادر التي هي من أنواع البيان عن معنى آي القرآن.

[٢] انظر: نحن والقرآن، مقدمات في أصول التدبر، "دراسة منهجية نقدية في علم التفسير"، للدكتور (مصطفى بوهندي)، ص: ١٣-١٤، لا شك أن في كلامه شيئًا من الصواب، إلا أنه يدعو إلى أمور خطيرة – كمن يضع السُّم في الدَّسَم – من أخطرها، أنه لا حاجة لبيان القرآن وأي شخص يمكنه الفهم، والقرآن أكبر من أن يفسره أحد، وأن السنة ليست وحيًا، وفهم النبي ﷺ للقرآن فهمٌ خاصٌ به على الإطلاق، في حدود معرفته وحدود زمانه ومكانه...، وهذا بالطبع يتناقض مع كثير من الأمور التي بينتها السنة وأجملها القرآن الكريم، والمؤلف لا يرى أن السنة مبينة للقرآن وقد صرح بذلك أكثر من مرة في كتابه، انظر مثلاً ص: ١٦٤؛ بل هذه الطرق التي انتهجها الحداثيون قاطبة في التعامل مع السنّة، تلتقي رغم تنوعها عند غاية واحدة هي: (تهميش السنة، وإلغاء دورها البياني للقرآن الكريم).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وآياته مبينات، أو أنه يخاطب الناس بالمغطى عنهم، والمشكل عليهم "حتى يأتي المفسرون لتبيان الغامض ورفع اللبس عن المغطى"[١].

عكس ذلك تمامًا هو القائم بنظر المؤلف، إذ "القرآن مبين في قمة البيان، غير محتاج إلى بيان خارجي من الناس، وهو مفهوم وغير مغطى، وغير مشكل، وميسر للذكر لمن أراد أن يذَّكَّر. وقد نزل لعموم الناس وخصوصهم، كل يفهم منه حسب اجتهاده وسقفه المعرفي، ولا يضيف أحد إلى بيانه شيئًا، ولا ينقص منه شيئًا، ولم يتخذ الله بين الناس وبين كتابه وسيطًا دونه، لا يفهمون ولا يعلمون مراد ربهم"[٢].

هذا ملخص لبعض ما ذهب إليه بو هندي فهو يرى أن مشكلة مصطلح "التفسير" تطرح نفسها بحدة ولا يمكن تجاوزها. وهنا لا بد لنا من وقفات مع كلام بو هندي ليس هذا محلّها، ولكن بإيجاز أقول: إنّ ما ذكره من عدم وجود الحاجة للبيان إذ القرآن مبيّن بذاته، فهذا تردّه آيات القرآن ذاته كقوله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل:٤٤] ولا يكون المفسر وسيطًا بين الله وبين الناس كما زعم المؤلف، بل إن كل إنسان يمكنه أن يمارس مهماته التفسيرية إذا تملك الأدوات، ولا يحتاج إلى من يبين له، ولكن أولئك الذين لا يملكون الأدوات ولم تتوافر فيهم شروط الفهم فمن يبيّن لهم القرآن؟ ثم من ذا الذي يلزم الناس بقول هذا المفسر أو ذاك.

وفي الواقع إن تعدد التفاسير وتنوعها إنما يدل على عكس ما ذهب إليه وفهِمه المؤلف، بل يدل على حقيقة هي: أن لا وسيط بين الله وبين الناس، وإنما ترْك الناس يفهمون القرآن على

---

[1] نحن والقرآن، بتصرف، ص: ١٤-١٥

[2] انظر: نحن والقرآن، ص: ١٤ – ١٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أهوائهم ودون توفر الأدوات والشروط هو الذي يؤدي إلى فوضى في الفهم، وقد بين النبي ﷺ خطر ذلك إذ نهى عن القول في القرآن بالرأي – الهوى –[1] حتى لا يقع الناس في شطط وفوضى الفهم.

ثم من الذي يقول بأن إثارة هذه الإشكالات المعرفية التي يثيرها مصطلح التفسير والبحث عن الجواب عليها أمر مرفوض ويؤدي إلى القول بأن القرآن غير مبين؟! فما فوْدُ الأمر بالتدبر إذًا! والتقريع على عدم التدبر {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ...}، [النساء:٨٢، محمد:٢٤] و (واو) الجمع على أنها مفتوحة تشمل كل من يقرأ القرآن.

أليس القرآن نصًا إلهيًا مفتوحًا قابلاً لتجدد الفهوم أو تنوعها ضمن ضوابط الفهم العامة؟ أوَليس الأمر أن القرآن لو كان بيّنًا لا يحتاج إلى تفسير لكان فهم القرآن واحدًا على مدار التاريخ الإسلامي وهو ما لم يحصل قط، بل إن كل مرحلة زمنية تأتي بمعان ودلالات لم تكن قط في الزمن السابق، مما يدل على ضرورة النظر والتدبر والتفسير.؟ أوَليس فعل النبي ﷺ في تفسير القرآن الكريم قولاً وفعلاً دليلاً على حاجة الناس (وليس النص) إلى بيان المراد من الآيات لتصبح ممكنة التطبيق في واقع الناس.

أما الرد على القضايا الأخرى التي أثارها بو هندي تكون في غير موضع من هذه الرسالة، إلا أنه لا بد من إطلالة على بعض ما قاله الحداثيون في هذا السياق.

---

[1] وذلك في الحديث المشهور "من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار"، الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، بَاب مَا جَاءَ فِي الَّذِي يُفَسِّرُ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ، برقم: ٢٩٥٠، ١٩٩/٥، قال أبو عيسى: حديث حسن صحيح، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، ج٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التأويل لغة:

(أوّل) أصل يعود إلى معان متنوعة وكثيرة، ولا غرابة في ذلك، إذ استُخدِمت مشتقاته في القرآن بعدة دلالات، ومن معاني "الأَوّل": الرّدّ والرجوع والعاقبة والمصير والابتداء والانتهاء وإطالة النظر والتدبير والتقدير والتفسير والجمع والسياسة والبلوغ.

ففي معجم "المقاييس" قد بين أصل الاستعمال حيث قال: "والهمزة والواو واللام أصلان: ابتداء الأمر وانتهاؤه"[١]. والتأويل: هو انتهاء الشيء ومصيره وعاقبته وآخره[٢].

أما في "القاموس المحيط": "آل إليه أولاً ومآلاً: رجع. وأوّل الكلام تأويلاً: دبّره وقدّره وفسّره، والتأويل: عبارة الرؤيا"[٣].

وفي "عمدة الحفاظ": "الأول، الرجوع إلى الأصل، والتأويل تفعيل منه وذلك ردّ الشيء إلى الغاية المرادة فيه"، والآلُ: ما يبدأ من السراب كشخص يظهر للناظر[٤].

من هنا يظهر فرق بين التفسير والتأويل، فالآل ما يبدأ من السراب كما ذكر، وكأنّ التأويل عبارة عن نظر دقيق وطويل وفيما هو أبعد من ظاهر النصوص – والله أعلم –.

---

[1] انظر: معجم المقاييس: ص: ٩٦ – ٩٨.

[2] مجمل اللغة لأحمد بن فارس، تحقيق زهير عبد المحسن، ١٠٧/١، مؤسسة الرسالة، ط/١، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م

[3] القاموس المحيط، لابن عمر الشيرازي الفيروز أبادي، ترتيب حسان عبد المنان، ص: ٩٠، بيت الأفكار الدولية، لبنان، ط/٢٠٠٤م.

[4] انظر: عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، للشيخ أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق د. محمد التوتجي، ١٥٥/١ – ١٥٩، عالم الكتب، ط/١، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م؛ ونحوه في المفردات للأصفهاني.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي "اللسان": "أُلْت الشيء إذا جمعته وأصلحته فكان، وقالت العرب: أول الله عليك أمرك أي جمعه"[١].

التأويل اصطلاحًا:

يذكر صاحب "اللسان" معنى التأويل قائلاً: "التأويل جمع معاني ألفاظ أشكلت بلفظ واضح لا إشكال فيه"؛ حيث ردّه إلى مفهوم الجمع كما ورد معنا سابقًا؛ وفي "اللسان" أيضًا: "والتأوّل والتأويل تفسير الكلام الذي تختلف معانيه ولا يصح إلا ببيان غير لفظه، فهو نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي"[٢].

وأورد الزركشي معنى التأويل بأنه: "صرف الآية إلى ما تحتمله من المعاني..."[٣]، وعرّفه كذلك بقوله: "والتأويل صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وما بعدها، تحتمله الآية، غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط"[٤]. ونلحظ في تعريف الزركشي المنحى الأصولي في صياغة العبارات، تأثرًا بكونه أصوليًا فقيهًا.

لم أجد في كتب المعاصرين كثرة ممّن عرض لتعريف التأويل تعريفًا اصطلاحيًا مقابلاً للتفسير –وقد يوجد–، سواء أكان مضافًا إلى القرآن الكريم أو ليس مضافاً، فقد اكتفوا بنقلها

---

[1] لسان العرب، ١٩٣/١ – ١٩٤

[2] لسان العرب، ١٩٣/١ – ١٩٤

[3] البرهان، للزركشي، ١٤٨/٢ – ١٤٩؛ وقد ذكر الذهبي معنى التأويل عند المتفقهة والمتكلمة والمحدثة والمتصوفة فقال: "هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به"، التفسير والمفسرون، ١٨/١

[4] البرهان في علوم القرآن للزركشي، ١٦٢/٢ – ١٦٩، دار إحياء الكتب العربية، ط/١، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م، والإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي، ١١٨٩/٢–١١٩١، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط/١، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما هي على حالها دون التعليق عليها، باستثناء بعض الحداثيين الذين أفاضوا في الحديث في هذا الجانب، والتفصيل فيه أمر مهم، وإلاّ لِمَ استخدَم القرآن هذا المصلح بهذا القدر؟!

لكن من الذين تناولوا تعريفه اصطلاحياً الدكتور صلاح الخالدي، وتأويل القرآن عنده: "علمٌ يتم به حسن فهم القرآن الكريم، وإزالة اللبس والإشكال عن بعض آياته، بردها إلى الغاية المرادة منها، وحملها على الآيات الأخرى الواضحة، التي لا لبس فيها ولا إشكال، واستنباط لطائف الآيات ودلالاتها وحقائقها"[١]. فهذا تبيين للمعنى والطريق الموصلة إليه.

ويتضح أن هذا التعريف جاء بعد نظرة متأنية لكلام السابقين من لغويين وغيرهم، كما سوّى بين معنى التأويل والتفسير من جهة، وفرق من جهة أخرى، فجعل التأويل في بعض الآيات التي فيها اختلاف في بيان معانيها وتحتاج إلى نظر دقيق، مضيفاً إليه ما يستفاد ويستنبط من معانٍ وإشارات ولطائف ودقائق في الفهم حريٌّ به أن يسمى تأويلاً، ولعلّ هذا قصْد شيخ المفسرين أبي جعفر الطبري – رحمة الله عليه – بقوله: "إنّي لأعجبُ ممنْ قرأ القرآن ولم يعلَم تأويلَه، كيف يلتذُّ بقراءته؟"[٢]، بينما مستوى التفسير أقل من ذلك مع أنّ به يتم الوصول إلى المراد وحسن الفهم.

ويرى نصر أبو زيد[٣] – من الحداثيين – أن التأويل: عبارة عن حركة ذهنية عقلية في إدراك الظواهر[١].

---

[1] تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، ص: ٢٦؛ وقريب منه رأي الدكتور فضل عباس في كتابه التفسير أساسياته واتجاهاته، انظر: ص: ١٠٨ و ص: ١١٢.

[2] مقدمة تفسير الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر.

[3] وقد توفي هذا اليوم: ٢٠١٠/٧/٥م أثناء تدقيقي ومراجعتي لهذه الرسالة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والناظر في هذا التعريف يجد فيه أنه تفسير للعملية الذهنية والإجراء العقلي الحاصل في التأويل أكثر من بيان معنى المصدر –التأويل– وهو بهذا لا يأتي بجديد في مسألة تعريف التأويل وإنما ينحو منحى آخر غير ما نحى إليه علماء التفسير المتخصصون من قبل.

وبما أن هذا المكان مكان تمهيد، وليس بسطاً للأقوال والشهادات بتفصيل، فأوجز الرد عليه بأن تتبع حركة التفسير على مدار التاريخ الإسلامي ربما تنبي بما قال أبو زيد ظاهريًا، غير أن المدقق يجد أن في هذا القول افتراء على علماء التفسير من جهة، فلو صح أن لفظ التفسير غلب استعماله على لفظ التأويل كما قال لما كان ذلك مقصودًا إليه من أهل التفسير، غير أن ما ذكره لا يصح، فتفسير الطبري أكثر من استعمال لفظ التأويل حتى غلب على استعمال لفظ التفسير...

---

[1] مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن، نصر حامد أبو زيد، ص: ٢٦٠، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط/١٩٩٣م؛ وقد بيّن هذا المعنى بعد دراسة مستفيضة لمصطلح التأويل في القرآن، والغريب أنه قال عندما فرّق بين التأويل والتفسير، قال: إن التفسير يحتاج إلى ما سماه الوسيط، أما التأويل فلا يحتاج، ينظر: مفهوم النص، نصر أبو زيد، ص: ٢٥٢ – ٢٦٢، والسؤال هنا، هل يعقل أن التأويل لا يحتاج إلى الوسيط؟ خاصة أنه قال: "لا بد للمؤول أن يكون ممتلكًا أدوات التفسير"، وأدوات التفسير هي الوسيط، ولعل في هذا تناقضًا...!!.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثاني: الفرق بين التفسير والتأويل.

يعد الحديث عن الفرق بين التفسير والتأويل أمرًا جدليًا قد لا يصل فيه الباحث إلى نتيجة حاسمة، غير أن ما سبق ذكره من كلام العلماء في تعريف كلا المصطلحين والرجوع إلى اللغة العربية وأصول استعمالات هذين المصطلحين يعطي إضاءات في الفهم تعين على تلمس أوجه الفرق بينهما.

فيمكن القول إن التفسير يستعمل عند بعض العلماء مرادفًا للتأويل إذْ كل منهما يكشف عن المعنى المراد، وفي عرف علماء آخرين نجد أن ثمة أقوالاً كثيرةً للعلماء من لغويين ومفسرين قديمًا وحديثًا في الفرق بينهما، فمنهم من جعل التفسير أعم من التأويل كالراغب الأصفهاني، ومنهم من جعل التفسير يختص بأمور لا يختص بها التأويل وكذا العكس، ومن الذين فصّلوا في هذا الباب الراغب، والسمين الحلبي، والإمام الزركشي وتبعه السيوطي- رحمة الله عليهم-، ومن المعاصرين الدكتور صلاح الخالدي؛ وتفصيل ذلك فيما يأتي من ذكر في الفرق بينهما عطفًا على ما ورد في كتب أصول التفسير وعلوم القرآن التي تبيّن عدّة فروق بين المصطلحين على النحو التالي:

١. "**التفسير** معرفة مدلولات الألفاظ وأسباب النزول والوقائع، أما **التأويل** فهو رد اللفظ إلى ما يليق به من المعنى"[١].

٢. "**التفسير** كشف المراد عن اللفظ المشكل، و**التأويل** رد أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر"[٢].

---

[1] عمدة الحفاظ، ٢٧٣/٣ – ٢٧٤.

[2] المرجع السابق، ٢٧٤/٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣. "**التفسير** قد يقال في فيما يختص بمفردات الألفاظ، وغريبها فيما يختص **بالتأويل**، ولذلك قيل تفسير الرؤيا وتأويلها"[١].

٤. "**التفسير** يتعلق بالرواية، و**التأويل** بالدراية، و**التفسير** يعتبر بالسماع، و**التأويل** فيما يتعلق بالاستنباط"[٢].

٥. أما الآلوسي –رحمه الله– فقد عدّ أن كثيرًا من الفروق مخالفة للعرف وذكر أن الفرق بينهما على النحو التالي: **التأويل** هو إشارة قدسية ومعارف سبحانية تنكشف من سجف العبارات للسالكين وتنهل من سحب الغيب على قلوب العارفين، و**التفسير** غير ذلك؛ كما أنه اعتبرها مخالفة لدلالة الألفاظ فقال: "وإنْ كان المراد الفرق بينهما بحسب ما يدل عليه اللفظ مطابقة، فلا أظنك في مرية من رد هذه الأقوال، أو بوجه ما فلا أراك ترضى إلا أن في كل كشف إرجاعًا وفي كل إرجاع كشفًا، فافهم"[٣]. وواضح هنا أن الآلوسي ينكر الفرق بين التفسير والتأويل من الناحية اللغوية، بينما يفرق بينهما من الناحية العرفية[٤].

٦. **التفسير** القطع على أن المراد من اللفظ هذا، والشهادة على الله أنه عنى باللفظ هذا، و**التأويل** ترجيح أحد المحتملات دون القطع والشهادة على الله[٥].

ومن أقوال السابقين في الفرق بين المصطلحين ما نقله السيوطي في إتقانه عن أبي طالب التغلبي –رحمه الله– حيث قال: "و**التأويل**: تفسير باطن اللفظ مأخوذ من الأول وهو الرجوع

---

[1] المفردات، ص: ٣٩٤.

[2] انظر في البرهان، ١٦٢/٢؛ والإتقان، ١١٨٩/٢. وهو منحى البغوي في تعريفه للتفسير من قبل.

[3] روح المعاني، شهاب الدين الآلوسي، ٦/١، دار الكتب العلمية، ط/١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م

[4] قد رد على كلام العلامة الآلوسي فضيلة الدكتور فضل عباس في كتابه القيّم التفسير أساسياته واتجاهاته ص: ١١٠، مختصره أن العرف يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة

[5] ذكره الماتريدي في تأويلات أهل السنة، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود السمرقندي الحنفي (ت ٣٣٣هـ)، ١/١، تحقيق فاطمة يوسف الخيمي، مؤسسة الرسالة، ط/١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لعاقبة الأمر، فالتأويل إخبار عن حقيقة المراد؛ و**التفسير** إخبار عن دليل المراد، لأن اللفظ يكشف عن المراد والكاشف دليل، مثاله قوله تعالى: {إن ربك لبالمرصاد} تفسيره: أنه من الرصد، يقال: رصدته: رقبته، والمرصاد مفعال منه، وتأويله التحذير من التهاون بأمر الله والغفلة عن الأهبة والاستعداد للعرض عليه"[١].

وقد وقف المشتغلون بالتفسير من المعاصرين على هذه الفروق العديدة وخرجوا باستنتاجات، وجلهم أخذ الترجيح بين الأقوال، فمنهم من رجح معنى على معنى كما فعل الشيخ الذهبي – رحمه الله[٢]. وآخرون خلصوا إلى قول ثعلب وابن الأعرابي وأبي عبيدة، فجعلهما متساويين ولا فرق بينهما[٣]. والبعض حصر التفسير في بيان الروايات أو التفسير اللغوي للكلمات وأما التأويل ما يفهم من الآية وراء ما تعطيه الألفاظ الذي هو التدبر أو الطريق إليه[٤]. وبعضهم خلص إلى أن التفسير يحتاج دائمًا إلى (التفسرة) وهي الوسيط (لغة، وروايات تفسيرية، علامة دالة...) وأما التأويل لا يحتاج لها بل تعتمد على حركة الذهن أو هو علاقة مباشرة بين الذات والموضوع – النص[٥].

بينما عدّهما الدكتور صلاح الخالدي مرحلتين متتابعتين، **الأولى**: تفسير القرآن، وهي عبارة عن: (تفسير ألفاظ القرآن وجمله، بالاعتماد على الروايات والأقوال المأثورة، مع إيراد آيات من نفس المعنى وأحاديث صحيحة وأقوال صحابة وتابعين وأسباب نزول وقراءات

---

[1] الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٢٢٢/٢

[2] انظر: التفسير والمفسرون، ص: ٢٢

[3] انظر: التحرير والتنوير (المقدمة)، ١٦/١ – ١٧

[4] التفسير أساسياته واتجاهاته، الدكتور فضل حسن عباس، ص: ١١٠ – ١١٢، مكتبة دنديس، عمّان، ط/١، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م

[5] انظر: نصر أبو زيد، ص: ٢٦٢ – ٢٦٥، وقد أشار إلى أن التأويل لا بد له من التفسير أولاً.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإعراب وناسخ ومنسوخ وشعر)، وهذا كله تفسير لظاهر الآية والمعنى المتبادر للذهن، إذاً هي علم ونقل؛ **الثانية:** تأويل القرآن، وهي ثمرة التدبر، أي: (إمعان نظر وإعمال عقل وتنفذ في النظر إلى باطن الآية لاستخراج اللطائف والإشارات والدلالات والحقائق والمعاني غير متبادرة إلى الذهن) إذاً هو عمل يعتمد على الموهبة والملكة والتدبر، والخلاصة (أن كل مؤَوِّلٍ مفَسِّرٌ، وليس كل مفسِّرٍ مؤَوِّلاً!!)[1]؛ ويمكن القول: استعمال لما جمع تفسيراً ويعاد النظر فيه وفي مدلولاته بقصد الوصول إلى أفضل المعاني.

إن التفصيل في بيان معنى هذين المصطلحين أمر مهم وإن لم تكن القضية الأساس فيه؛ ذلك أن موضوع الرسالة قائم في شقه الأول على قضية اصطلاحية هي مفهوم (التفسير الأثري) الذي يثير الجدل بقوة، فكان لا بد من هذا التفصيل حتى يتم الترابط بين اللغة والاصطلاح، ومن خلال النظر في الأقوال السابقة يتبين كيف أن التأويل استخدم بمعنى الكشف عن المعنى، أي مثل التفسير وغيرها من المقاربات في المعنى اللغوي، فهما يشتركان في الدلالة على بعض المعاني وينفرد كل منهما في الدلالة على بعض المعاني الأخرى، وبعد النظر والتمحيص والاطلاع على العديد من الآراء والأقوال أجد نفسي أميل إلى ما ذهب إليه الدكتور الخالدي بالقول بالمرحلية، لا سيما أنه لم يمنع في معنى "التفسير" عملية النظر والاجتهاد لكن بقدر أقل من عملية التأويل، وهو قريب جداً من الذي ذكره الدكتور فضل عباس[2]، والله أعلم.

ومن الأهمية بمكان في هذا المقام أن يتم تتبع مصطلح التأويل في القرآن الكريم ولو بشكل موجز، إذْ كان منشأ الاختلاف في معنى التأويل، والفرق بينه وبين التفسير، من فهم

---

[1] انظر: تعريف الدارسين ص: ٢٩ – ٣٤.

[2] التفسير أساسياته واتجاهاته، ص: ١٠٨ – ١٠٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الآية السابعة من سورة آل عمران، وحصره في المتشابه فقط، أو ذم القائلين به لأنه زيغ واتباع فتنة.

تبين فيما سبق أن مصطلحي التفسير والتأويل مستعملان في لغة العرب قبل نزول القرآن بعدة استعمالات وعدة دلالات، ومصطلح التأويل في القرآن قد سبق مصطلح التفسير وذلك في سورة الأعراف وتلتها لفظة التفسير في سورة الفرقان، ولفظة "تأويل" تاريخيًا بحسب نزول السور على النحو التالي: (الأعراف، الإسراء، يونس، الكهف، آل عمران، النساء)، وقد استعملت سبع عشرة مرة، والملاحظ هنا أن جميع السور التي وردت بها لفظتا التأويل والتفسير مكية، ما عدا آل عمران والنساء[1]. ولقد علق على هذه الآيات الشيخ الزفزاف* على النحو التالي، ولقد رجعت إلى العديد من التفاسير فوجدت منها ما يتفق مع كلامه ومنها ما يخالف.

آية آل عمران، وهي: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ **تَأْوِيلِهِ** وَمَا يَعْلَمُ **تَأْوِيلَهُ** إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} [آل عمران:٧]، وخلاصة القول: إن التأويل في هذه الآية بمعنى إرجاع المتشابه إلى معنى يحتمله ظاهره، وهنا يختلف أهل الحق عن أهل الزيغ، فأهل الزيغ يرجعونه إلى المعنى الذي ينطبق على أهوائهم وتقاليدهم، ويزعمون أنه حقيقة. وأهل الحق يرجعونه إلى المعنى الذي يتفق مع المحكمات من الكتاب؛ لأنها الأصل الذي يرجع إليه عند

[1] انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي، [تأويل، تأويلاً، تأويله] ص: ١١٩–ص: ١٢٠، دار الحديث، القاهرة، ط/١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

* وكيل كلية دار العلوم (سابقًا).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاشتباه كما قال تعالى: {هنّ أمّ الكتاب} ولا يأخذون في الآية بمعنى إلا إذا قام عليه الدليل الصحيح[١]. وكما هو معلوم فإن سبب نزول مطلع هذه السورة إلى بضع وثمانين آية هو حواره ﷺ مع وفد نجران[٢]، وربما لأن سورة آل عمران فيها جهاد فكري وجهاد عملي أخذ المصطلح هذا المنحى عند بعض العلماء، والله أعلم.

١. آية النساء وهي قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ **تَأْوِيلًا**}[النساء:٥٩]، خلاصتها: أحسن إرجاعًا فيما يحسم النزاع بين المؤمنين، ولا يحتمل أن يكون المراد به هنا التفسير أو صرف الكلام عن ظاهره[٣]. فالسياق هنا عن حاكمية الله تعالى.

٢. آية الأعراف والتي قبلها، وهي قوله تعالى: {وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ، هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا **تَأْوِيلَهُ**؟ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} [الأعراف:٥٢-٥٣]، والمراد بالتأويل هنا الحوادث التي تقع مطابقة لما أخبر به الكتاب من بعث، وحساب، وثواب وعقاب في الآخرة، وهنا كذلك لا يعني التأويل التفسير، أو صرف الكلام عن ظاهره[٤].

---

[1] انظر: تفسير ابن كثير تهذيب وترتيب، ٥٥٤/٢ – ٥٥٥؛ التحرير والتنوير، ١٦٢/٣ – ١٦٣

[2] انظر: أسباب النزول، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ)، ص: ٥٢، المكتبة العصرية، بيروت، ط/١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤م.

[3] انظر: تفسير الطبري، ٥٠٦/٨؛ وانظر: تفسير ابن كثير، ٨٢٤/٢؛ وانظر: تفسير البغوي، ٢٤٢/٢؛ وانظر: تفسير الزمخشري، ٥٥٧/١.

[4] انظر: تفسير الرازي، ٨٢/١٤-٨٣؛ وانظر: التحرير والتنوير، ١٥٤/٢ – ١٥٥، القسم الثاني.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣. آية يونس، وهي قوله تعالى: {بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ **تَأْوِيلُهُ** كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ} [يونس:٣٩]، وأيضًا ليس المراد التفسير أو صرف الكلام عن ظاهره، ولكن هي الحوادث التي يدل تحققها على صدق الرسولﷺ. ولا أراني هنا أميل إلى ما قاله الشيخ الزفزاف في هذه الآية، فسياق الآيات يوحي بأن القرآن يعيب عليهم عدم التدبر والنظر وإشارة إلى عدم جدهم واجتهادهم في طلب أسرار الكتاب.[1]

٤. ست آيات من سورة يوسف عليه السلام، وهي قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ **تَأْوِيلِ** الْأَحَادِيثِ} [٦]، وقوله:{... نَبِّئْنَا **بِتَأْوِيلِهِ** إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} [٣٦]، وقوله: {قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا **بِتَأْوِيلِهِ** قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا} [٣٨]، وقوله: {قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ **بِتَأْوِيلِ** الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ}[٤٤]، وقوله: {وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ **بِتَأْوِيلِهِ** فَأَرْسِلُونِ} [٤٥]، وقوله: {وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا **تَأْوِيلُ** رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا}[١٠٠]؛ وإذا تأملنا التأويل في هذه الآيات كلها، نجد أن المراد منه هو الحوادث الواقعية التي كان يمثلها ما رُئي في تلك الرُّؤَى المنامية[2].

٥. آية الإسراء، وهي قوله تعالى: {وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ **تَأْوِيلًا**} [الإسراء:٣٥]، ظاهر المراد هنا، أي أحسن مآلاً وعاقبة[3].

---

[1] انظر: تفسير الزمخشري، ٣٣١/٢؛ وانظر: ابن كثير، ١٦٦٦/٦؛ وانظر: تفسير الرازي، ٨٦/١٧؛ وانظر: التحرير والتنوير، ١٧١/١١ – ١٧٢).

[2] انظر: التحرير والتنوير، ٢١٦/١٢؛ ٢٦٩/١٢ – ٢٧١؛ ٢٨٢/١٢– ٢٨٣؛ ٥٧/١٣.

[3] انظر: تفسير الزمخشري، ٦٢٣/٢؛ وانظر: تفسير السمرقندي، المسمى بحر العلوم، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت٣٧٥هـ)، ٢٦٨/٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ١٩٩٣م، انظر: التحرير والتنوير، ٩٩/١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦. آيتان في سورة الكهف، وهما قوله تعالى: {قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ **بِتَأْوِيلِ** مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا} [٧٨]، وقوله: {وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ **تَأْوِيلُ** مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا} [٨٢]، والظاهر أن المراد بالتأويل هنا، إرجاع الأفعال التي أنكرها سيدنا موسى عليه السلام، إلى ما تؤول إليه من الخير في المستقبل. وهو ما ذهب إليه الآلوسي بقوله: "والتأويل رد الشيء إلى مآله والمراد به هنا المآل والعاقبة إذ هو المنبأ به دون التأويل بالمعنى المذكور..."[1]؛ بينما يرى السمرقندي وتبعه ابن عاشور بأن التأويل هنا بمعنى التفسير[2]. وأراني أميل إلى كلا المعنيين.

يذكر الدكتور فضل عباس بعد إيراده بعض هذه الآيات: "نستطيع أن ندرك الدقة في الفرق بين التفسير والتأويل من تعبيرات القرآن نفسها، فالمواضع التي عبر فيها بالتأويل، بحاجة إلى الرويّة وإعمال الفكر، وإلى عملية عقلية"، مستدلاً على ذلك باستعمال كلمة (التأويل) في شأن المتشابه وتأويل الرؤى وأمر موسى ﷺ، وما حدث بينه وبين العبد الصالح[3].

وباختصار فقد استنتج الشيخ محمد الزفزاف من خلال الآيات السابقة:

أولاً: بأن التأويل إذا تعلق بالكلام فيكون المراد إرجاعه إلى الحقيقة التي تراد منه، وعلى هذا يكون التأويل مرادفًا للتفسير، ويكون تسمية ما يفعله أهل الزيغ من تطبيق الآيات على أهوائهم وتقاليدهم تأويلاً مبنيًا على أنه إرجاع لها إلى ما يزعمون -كذباً- أنه حقيقتها،

---

[1] تفسير الآلوسي، ٨/١٦.

[2] انظر: تفسير السمرقندي، ٣٠٩/٢- ٣١٠؛ وانظر: التحرير والتنوير، ١٠/١٦.

[3] التفسير أساسياته واتجاهاته، ص: ١٠٨ – ١٠٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وليس في الحقيقة تأويلاً صحيحًا؛ كتفسير كثير من المنحرفين وغيرهم من أصحاب الفرق الضالة لكثير من الآيات.

ثانيًا: بأن التأويل إذا أُضيف إلى غير الكلام يكون معناه الحوادث التي ستقع مصدقة لأخبار الرسول ﷺ، أو مبينّة لوقائع الرؤيا، كما يتبيّن ذلك من خلال بعض الآيات السابقة؛ ويضيف الشيخ الزفزاف قائلاً: "وعلى هذا يكون ما اختلف فيه العلماء من معنى التأويل والتفسير إنما هو ما ساقهم إليه احتياطهم، ولا يصح أن نأخذ المعاني التي اصطلحوا عليها في كل من التفسير والتأويل على أنه معنى لهما تُنَزَّل عليه آيات القرآن في الفهم، لأن فهم آيات القرآن على ما اصطلح عليه المصطلحون قد يجر إلى الخطأ"[1].

وخلاصة القول في هذا المبحث: إنّ التفسير والتأويل هما بذل الجهد في تبين معنى القرآن، بحيث لا يتصادم مع نصوص الكتاب والسنة الصحيحة، ضمن شروط وضوابط التفسير والفهم السليم، إلا أن التأويل عملية أوسع وجهد أكبر ودقة أكثر في النظر.

وفي التأويل استعمال لأدوات يصل بها إلى عمق الدلالة في الآية المدروسة وتجاوز المعنى السطحي الظاهري إلى ما في الآية الكريمة من دلالات لا تظهر للناظر من الوهلة الأولى، ولعل في قصة ابن عباس ﷺ مع أشياخ بدر في عهد عمر ﷺ مثال على ذلك، فإن الصحابة الكرام إنما فسروا الآية بما فهموه منها وبما يقتضيه ظاهر النص في المرحلة الأولى من مراحل الفهم، إذ فسروا السورة الكريمة بقرب النصر وما يترتب عليه من إقبال الناس على الإسلام جماعات وفرادى؛ أما ابن عباس ﷺ فإنه أراد الغوص إلى أعماق السورة

[1] التعريف بالقرآن والحديث، تأليف محمد الزفزاف، ص: ١٥٩ – ١٦٤، مكتبة الفلاح، الكويت، ط/٣، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكريمة معملاً أداة أخرى من أدوات الفهم علاوة على الأداتين اللغوية والتاريخية المتصلة بالقرآن، تلكم هي أداة السنن الإلهية في التغيير إذ انطلق ابن عباس ﷺ من حيث وصل سائر الصحابة في المعنى والدلالة الظاهرية إلى عمق الدلالة والفهم، فوصل إلى أن الآية تشير إلى قرب أجل النبي ﷺ، وهي سنّة إلهية تاريخية: أن الأنبياء إذا ما انتشر الإسلام واعتنقه الناس جماعات وأفرادًا فإن شأن النبي ﷺ أن يختار جوار ربه، إذ تكون المهمة قد أُنجزت ولا وجه لبقائه بين الناس، وهذا ما أقره عليه عمر الفاروقﷺ.

وهذا ضرب من التفسير يصل فيه المفسر إلى عمق النص، ولا يبقى على المعنى السطحي الظاهري من الآيات، ومن هنا يتبيَّن مدى انتفاع سيدنا ابن عباس –رضي الله عنهما– بدعاء النبي ﷺ له: "اللهُمَّ فَقِّهْ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ"[11] ونتلمس من خلال هذا الدعاء ما يحتلمه مصطلح التأويل من دلالات أشمل وأعمق مما هي بالتفسير، والله أعلم.

[11] مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، ٢١٥/٥، برقم: ٣١٠١، ١٦٠/٥، برقم ٣٠٣٣، دار الرسالة، ط/١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني

نشأة التفسير وأقسامه والمراحل التي مرّ بها[1]

يعدّ التفسير من أول العلوم الإسلامية ظهورًا، إذ ظهرت بوادره في عصر النبيّ ﷺ، حيث كان الصحابة يتلقونه من معلِّمهم شفوياً، واشتهر بالتفسير منهم عليٌ وابن عباس ﷺ، ثم أخذ العلماء بالتوسع فيه والتدوين، فمنهم من سلك مسلك نقل آثار السلف، ومنهم من اعتمد تطبيق القواعد المعتمدة في التفسير، وهو المسمى بالتفسير بالرأي، مصيبا كان أو مخطئا؛ ولا يخلو واحد من الطريقين من الاعتماد على النظر كما لا يخفى[2].

وكما هو معلوم لدى الكثير من المشتغلين في علم التفسير، أنه نشأ في حجر أصحاب الحديث والرواية، فكان أول ما ظهر تفسير الرواية أو التفسير الأثري، وأول من وضعه مالك بن أنس –رحمه الله– بمعنى جمعه ودوّنه، ولكننا حين نتابع تاريخ التفسير لن نجده يقف عند حد التفسير النقلي أو الأثري وإنما وجدت مناهج مختلفة منها، مثل (الرأي) وسواء كان ذلك في عهد النبي ﷺ والصحابة الأطهار، ومن جاء بعدهم إلى يومنا هذا، وبالتالي لا نستطيع أن نعدّ التفسير بالرأي فرعًا من فروع علم الحديث[3].

---

[1] لن أتوسع كثيرًا في هذا المجال، ولذا أحيل إلى بعض المراجع المفيدة التي توسعت فيه من مثل، التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي، والتفسير أساسياته واتجاهاته للدكتور فضل عباس، وتعريف الدارسين بمناهج المفسرين للدكتور صلاح الخالدي، وعلوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه، للدكتور عدنان زرزور، وغيرها من الكتب.

[2] انظر التحرير والتنوير، ١/١٤–١٧.

[3] انظر النص القرآني بين فهم العلماء وذوقهم، للدكتور مصطفى الصاوي الجويني، ص: ١٢ – ١٨، منشأة المعارف بالإسكندرية، ط/١٤١٢هـ – ١٩٩٢م، ويبين أن هذا رأي مؤرخي التفسير، وذكر أن كتاب الموطأ لا يشتمل على الكثير من تفسير القرآن، ولقد دافع عن قوله بقوله وقدّم في كتابه مبحثًا من بدايات التفسير في

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وها هو ابن عباس ﷺ يبرع في الاتجاه اللغوي في القرن الأول؛ وها هو مالك ابن أنس في الاتجاه العلمي – التشريعي أو الفقهي – في القرن الثاني، مستخدمًا أدوات التفسير من معرفة سبب نزول وناسخ ومنسوخ وقراءات وروايات نقلية عن كعب الأحبار... وهذا كله طريقه الرواية لا الدراية، ولكنه حين يدقق النظر في النصوص والروايات ويوثقها ويضبطها، فإنه يتبع منهج الدراية، فجمع الإمام مالك –رحمه الله– بين الرواية والدراية[1].

ولا مناص ابتداءً من التنويه على مكانة اللغة وقت نزول القرآن وفي هذا يقول ابن خلدون: "وأما التفسير فاعلم أن القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم، فكانوا كلّهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه"[2].

قلت: وهذا لا ينفي التفاوت فيما بينهم بهذا العلم، فابن قتيبة يقول: "إن العرب لا تستوي في المعرفة بجميع ما في القرآن من الغريب والمتشابه"؛ والحقيقة أن المرويات التي وردت عن الصِّدِّيق والفاروق ﷺ في تفسير قوله تعالى: { وَفَاكِهَةً وَأَبًّا} [عبس:٣١] جاءت بصيغة التمريض والتضعيف[3].

موطأ مالك، عرض فيه للعديد من الأمثلة لا يتسع المقام لذكرها، ويمكن الرجوع لكتابه من ص: ٨٣–٩١؛ والناظر في الكتب المختصة يلاحظ تباين أقوال العلماء والباحثين من أين بدأ التفسير بالرأي –العقل– هل في عهد الصحابة أم من بعدهم في عصر التابعين....

[1] للمزيد ينظر في المصدر السابق من ص: ٨٣ – ٩١؛ وفي كتابه "مناهج في التفسير" حيث أفرد بابًا كاملاً سماه: "ابن عباس أبو التفسير" من ص: ٢٣ – ٤١، منشأة المعارف، الإسكندرية، بلا تاريخ

[2] مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن خلدون، ص: ٥٢٦، تحقيق الدكتور حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة، ط/١، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م

[3] مع أن الشيخ محمد الزفزاف اعترض على كلام ابن خلدون ورأى أن كلام ابن قتيبة مخالفًا له، انظر كتابه ص: ١٦٦؛ والذي ظهر لي أن لا تعارض بينهما، فابن خلدون محق بقوله فالكل يفهم القرآن العربي ويفهمون معاني الكلمات والتراكيب التي جاء بها ولو بمستوى قليل، وكذلك ابن قتيبة محق فليس الجميع على مستوى واحد وخاصة بالغريب والمتشابه، ويدعم هذا القول ما نقله الزرقاني عن السيوطي قائلاً: "القرآن إنما نزل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومما لا شك فيه أنّ المرجعية الأولى في عهد النبوة هو النبي ﷺ، ولكن لا يعني هذا أنه لم يكن هناك دور للصحابة، وقد أعجبني تعليق الشيخ الزرقاني – رحمه الله – "أما دقائق باطنه فلا تظهر إلا بعد البحث والنظر وسؤالهم النبي ﷺ مثل قولهم: (وأينا لم يظلم نفسه...، ومن نوقش الحساب عُذِّب...)"[1].

وقد شاهدنا في أكثر من موطن أنّ الصحابة كانوا يناقشون النبي الكريم ﷺ وكان ينزل عند رأيهم، وذلك في قضايا تتعلق بالأحكام الفقهية أو حتى في قضايا عسكرية، فضلاً عن أقوال وفهوم لنص قرآني عربي، فهم كانوا ينظرون في شتى المسائل ويعرضون رأيهم فيها كما حصل مثلاً مع الحباب بن المنذر ﷺ حين رأى بخبرته ودرايته أن مكان نزول الجيش الأول في معركة بدر غير مناسب بما أن الأمر عائد للحرب والمكيدة والخدعة والرأي؛ وكم من موقف لفاروق الأمة عمر بن الخطاب ﷺ لا يتسع المقام لذكرها وهو يناقش بعض اجتهادات الرسول الكريم ﷺ، وهذا لا بد من التركيز عليه – اجتهادات الرسول ﷺ – أوليس هو أفصح العرب وأذكاهم وأصفاهم ذهناً غير أنه مؤيد بالوحي...؟! وسيأتي بيان ذلك عند الحديث عمَّا اصطُلِح عليه التفسير المأثور أو أقسامه.

ولكن الذي يعنيني هنا أن أبيّن أن **عهد النبوة** ليس كما يتصور هو فقط جهد للنبي ﷺ في تفسير آي القرآن، وأن الصحابة دورهم فقط السؤال عن ما خفي عليهم، ولذا أعجبني ما ذكره السيد أحمد عبد الغفار: "إذا نظرنا إلى بداية العهد بالقرآن وما كان عليه العرب من

بلسان عربي في أفصح العرب، فكانوا يعلمون ظواهره وأحكامه"، ولعل مما يحل هذا الإشكال تقسيم ابن عباس ﷺ التفسير إلى أقسام حيث قال: (التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله)، والله أعلم.

[1] مناهل العرفان ص: ٣٣٨ – ٣٣٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فصاحة وبلاغة لوجدنا أن المجتمع يعلم ظواهر معانيه وأحكامه، أما دقائق باطنه فإنها كانت تظهر بعد البحث والنظر، أو بسؤال النبي ﷺ، وهو بين ظهرانيهم"[1].

إنّ أهم شيء في هذا العهد – من وجهة نظري – ليس سؤال الصحابة الكرام للنبي ﷺ، أو تفسيره ﷺ لبعض الآيات، بل هو إرشاد الرسول ﷺ لصحابته وتعليمهم كيف يتعاملون مع النص القرآني من مثل تفسير القرآن بالقرآن – وسيأتي بيانه – لاحقًا؛ ومما هو معلوم ومؤكد في هذه الفترة أنّ النبي ﷺ لم يفسر القرآن كلّه[2]، والحكمة في ذلك لا تخفى، إذ أراد ﷺ أن يفتح المجال للأمة في فهم القرآن[3]. ثم كان هناك حثّ من الله سبحانه وتعالى على التفكر والتدبر {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}[النحل ٤٤]، {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ...}[النساء ٨٢، محمد ٢٤]، – وفي تفسير التدبر يقول ابن عاشور: "والتدبّر مشتقّ من الدُّبر، أي الظَّهر، اشتقّوا من الدُّبر فعلاً، فقالوا: تدبّر إذا نظر في دبر الأمر، أي في غائبه أو في عاقبته، فهو من الأفعال التي اشتقّت من الأسماء الجامدة. والتدبّر يتعدّى إلى المتأمَّل فيه بنفسه، يقال: تدبّر الأمَر. فمعنى {يتدبَّرون القرآن} يتأمّلون دلالته، وذلك يحتمل معنيين: أحدهما أن يتأمّلوا دلالة تفاصيل آياته على مقاصده التي أرشد إليها المسلمين، أي تدبّر تفاصيله؛ وثانيهما أن يتأمّلوا دلالة جملة القرآن ببلاغته على أنّه من عند الله، وأنّ الذي جاء به صادق. وسياق هذه الآيات يرجّح حمل التدبُّر هنا على المعنى الأول، أي لو تأمّلوا وتدبّروا هدي القرآن لحصل لهم خير عظيم، ولمَا بَقُوا على فتنتهم التي هي

---

[1] النص القرآني وضرورة التفسير، للدكتور السيد أحمد عبد الغفار، ص: ١٦، دار المعرفية الجامعة، مصر، ط/٢٠٠٣م.

[2] انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية، مقدمة التفسير، ٣٣١/١٣؛ كما توجد هذه المسألة مفصلة في كتاب التفسير والمفسرون، ٤٨/١–٥٥، وقد ذكر الذهبي –رحمه الله– ميزات عدة لهذا العصر أشرت لبعضها، انظر التفسير والمفسرون ص: ٩٧ – ٩٨.

[3] انظر التفسير أساسياته واتجاهاته، للدكتور فضل عباس، ص: ١٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سبب إضمارهم الكفر مع إظهارهم الإسلام. وكلا المعنيين صالح بحالهم، إلاّ أنّ المعنى الأول أشدّ ارتباطًا بما حكي عنهم من أحوالهم"[1].

قلت: ليس فقط بعد وفاته، بل في أيام حياته، وهو ﷺ من كان دائمًا يفتح المجال أمام أي سائل أو معلّق، ويقرر أي فهم صائب، أليس فهم الصدّيق والفاروق وابن عباس بل وربما غيرهم من الصحابة ﷺ لقوله تعالى: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} في عهده وزمانه!؟ وهذا نفهمه من خلال قصة ابن عباس مع أشياخ بدر في عهد عمر، وقد مرّ ذكرها في ختام المبحث السابق؛ ودعاؤه لابن عباس "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل" هل تحقق بعد وفاته ﷺ! وإذا كان التأويل مسموعًا كالتنزيل فما قيمة الدعاء؟ ونفس الحال في قول معاذ رضي الله عنه: "أجتهد رأيي" بعد فقْدان النص وتزكية رسول الله ﷺ له وتأييده، حيث ضرب على صدره وقال: "الحمد للَّه الذي وفّق رسولَ رسولِ اللَّه ﷺ لِمَا يُرْضِي رَسُولَهُ[2].

ثم هل عِلْمُ بعض الصحابة الغزير -وبخاصة من اشْتُهِرَ بالتفسير منهم- وفهمهم للنصوص لم يظهر في زمانه ﷺ؟! وعلى فرض أنّه ﷺ فسّر كل القرآن، فهل معنى ذلك أن القرآن تنقضي عجائبه أو تنقطع أسراره أو أن الدلالة تحصر فيما أثر عنه ﷺ؟ وسيأتي بيان هذا لاحقًا عند الحديث عن مشكلات التفسير ومنها حصر الدلالة بما أُثر فقط – إن شاء الله.

---

[1] التحرير والتنوير، ١٣٧/٥ – ١٣٨.

[2] الحديث كاملاً في مسند الإمام أحمد بن حنبل من حديث ابن عباس، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، ٢٣١/٥، برقم: ٣١٢٧، دار الرسالة، ط/١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م، وإسناده صحيح على شرط الشيخين.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكما ذُكر سابقًا فإن التفسير العقلي نشأ مبكرًا مع التفسير الأثري؛[1] بل وتُظهر لنا بعض النصوص أن الصحابة كانت اجتهادات في فهم الخطاب القرآني وتفسيره في عصر الرسول ﷺ، وكان لاجتهادهم حالتان:

* الحالة الأولى: أن يُقِرّ الرسول ﷺ اجتهادهم، ومن ذلك: الأثر المروي عن عمرو بن العاص، قال: بعثني رسول الله عام (ذات السلاسل)، فاحتلمت في ليلة باردة شديدة البرد، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، فتيمّمت به، ثم صليت بأصحابي صلاة الصبح، فلما قدمت على رسول الله ذكرت ذلك له، فقال: (يا عمرو، صليت بأصحابك وأنت جنب؟ قلت: نعم يا رسول الله، إني احتلمت في ليلة باردة شديدة البرد، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، وذكرت قول الله: {وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ} [النساء:٢٩] فتيممت، ثم صليت، فضحك، ولم يقل شيئًا)[2].

* الحالة الثانية: أن يصحح الرسول ﷺ فهمهم للآية، والمثال المشهور فيها، حين قالوا: وأينا لم يظلم نفسه؟ في قوله تعالى: {الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} [الأنعام:٨٢]، فأرشدهم ﷺ إلى الصواب وأن المراد هو الشرك[3]؛ ومثال آخر: هو حديث عدي بن حاتم، في قوله تعالى: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ

---

[1] النص القرآني بين فهم العلماء وذوقهم، د. مصطفى الصاوي الجويني، ص: ١٨؛ ولست هنا بصدد الحديث عن مشروعية التفسير بالرأي أو عدم مشروعيته، بل إن الموقف من تقويم أي تفسير من هذا النوع يقوم على أساس التزام المفسر بالشروط المحددة للتفسير العقلي (أي الاجتهاد في فهم النص بالاعتماد على اللغة والاستنباط والجمع بين الروايات...)، أما الأثري ما لا اجتهاد فيه، فهو قول منقول -مأثور- عن مفسر سبب نزول.

[2] الحديث في مسند الإمام أحمد، برقم: ١٧٨١٢، والحديث صحيح ٣٤٧/٢٩

[3] انظر: الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، ١٢٢٦/٣، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: {واتخذ الله إبراهيم خليلا }[النساء ١٢٥]، برقم: ٣١٨١، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، ط/٣، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، ج/٦. وقد ورد ذكره في كتاب التفسير وغيره من الكتب.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الفَجْرِ} [البقرة:١٨٧] حيث عمد ﷺ إلى عقالين: أبيض وأسود، ثم جعلهما تحت وسادة، ثم جعل ينظر إليهما في بعض الليل، فلم يستبينا، فلما أصبح أخبر الرسول بفعله، فأرشده الرسول ﷺ إلى أن المراد بهما سواد الليل وبياض النهار[1].

ففي هذين المثالين يُلاحظ أن الصحابة فهموا الآية على معنى محتمل، لكنه غير المراد، فأرشدهم الرسول إلى المعنى المراد بالآية، ولم ينههم عن تفهّمِ القرآن إلا بالرجوع إليه[2].

وأما بالنسبة **لعهد الصحابة** بعد النبي ﷺ، فمعروف أن الصحابة الكرام كان بينهم تفاوت في العلم والفهم ومستويات الفكر، وهذا طبيعي في أي مجتمع من المجتمعات، فمثلاً في قوله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [المائدة:٣] فمن الصحابة فهم أنها بشرى وتمام الدين ففرح بذلك، إلا أنّ عمر ﷺ حين سمع النص بكى وقال: ما بعد الكمال إلا النقصان، مستشعرًا قرب أجل الحبيب ﷺ، وهذا يدل على التفاوت في الفهم والإدراك إلى جانب ما يتمتع به بعضهم من حساسية التأمل وربط النصوص بعضها ببعض فيما يدرك به المراد، وتلك قدرات يمكن أن تكتسب بالتأمل والتدبر والمراس، وما أوتي منهم من الفطنة[3]. وهذه من الأمثلة التي يعتمد عليها القائلون بالتفسير الإشاري بشروط.

---

[1] انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، بَاب قَوْلِهِ: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنْ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنْ الْفَجْرِ} برقم: ٤٢٣٩، ٤/١٦٤٠.

[2] انظر المقدمات الأساسية في علوم القرآن، عبد الله بن يوسف الجديع، ص: ٣١٣-٣١٤، مؤسسة الريان، بيروت، ط/١، ٢٠٠١م - ١٤٢٢هـ.

[3] انظر النص القرآني وضرورة التفسير، للسيد أحمد عبد الغفار، ص: ١٨-١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد ذكر السيوطي في الإتقان طبقات المفسرين فقال: "اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة: الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وأبيّ، وابن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير"[1]؛ ومع هذا التفاوت فيما بينهم بقدر العلم من التفسير لم يعنوا بتدوين التفاسير المطولة للقرآن الكريم، فالمعروف عنهم شرح بعض المفردات والتراكيب وبيان المناسبات ونحوها، ولهذا تنوعت تعبيراتهم وتفسيراتهم لكثير من الآيات، مثل ما حصل في قوله تعالى: {الصراط المستقيم}[2].

وكما هو معروف تلمذ على يد الصحابة ﷺ **التابعون** – رحمة الله عليهم –، في مدارس الصحابة الثلاثة المشتهرة والمتمثلة بمدرسة التفسير بمكة ومؤسسها حبر الأمة وترجمان القرآن ابن عباس ﷺ، ومدرسة التفسير بالمدينة ومؤسسها أبيّ بن كعب ﷺ، ومدرسة الكوفة على يد ابن مسعود ﷺ[3]، وبالتالي اعتمدوا على تفسيرات الرسول ﷺ وإنْ قلّت، وكذلك على اجتهادات الصحابة الكرام، ومن ثم أضافوا إلى ذلك ما أدّاهم إليه اجتهادهم.

وبرز من التابعين الكرام علماء في التفسير، ومن أعلامهم (مجاهد بن جبر – وهو الأعلم والأشهر–، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وعطاء، والحسن البصري، وغيرهم)[4]؛ ثم أخذ عن التابعين تابعوهم، وبعضهم دوّن تفاسير مستقلة.

---

[1] الإتقان في علوم القرآن، ٢/٢٣٩.

[2] انظر علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه، د. عدنان زرزور، ٢/٢٣٥ – ٢٣٦، دار الأعلام، عمّان، ط/١، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

[3] انظر تعريف الدارسين بمناهج المفسرين ص: ٣٦ – ٣٧، في حديثه عن التفسير في طور التأسيس

[4] تفسير ابن كثير، تهذيب وترتيب الدكتور صلاح الخالدي، ١/١٧، دار الفاروق، عمّان، ط/١، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما **تميز هذا العهد بميزات** عدة، ومنها كثرة الرواية، واتساع دائـرة التفـسير ودائـرة الاجتهاد فيه، وطال التأمل حول النص، وفي هذا العصر دخل في الإسلام كثير من أصحاب الديانات الأخرى، مما أدى إلى دخول ما اصطلح عليه بالإسرائيليات والخرافات من زنادقـة الفرس ومسلمة أهل الكتاب إما بحسن نية أو بسوء نية، وذلك بسبب حذف الأسانيد الذي بدأه مقاتل بن سليمان، وبالتالي كثر الوضع، وكان مما تميّز في زمان التابعين وتلاميذهم ظهور الخلافات المذهبية، وبما أنهم لم يشهدوا عهد النبوة فيغلب على الظن أن أغلب ما يروى من قبيل الرأي لهم[١]...

ثم جاء زمان الإمام الطبري –رحمه الله– الذي جمع بين الاتجاه الأثري والاتجاه اللغوي والاجتهادي، بالإضافة إلى استنباطاته واجتهاداته، وبعد الطبري صار المفسرون يتوسـعون ويستطردون ويوردون الكثير من المسائل والمباحث والقضايا، فمنهم من اتجه اتجاهًا لغويًـا بيانيًا، وآخر كلاميًّا عقليًّا، وغيره فقهيًّا، ومنهم من اهتم بالقصص والتاريخ، حتـى ظهـرت كذلك اتجاهات منحرفة من أصحاب البدع والأهواء. ومنذ ذلك العـصر بقـي المفـسرون يفرِّعون وينوِّعون في تفاسيرهم كلٌّ حسب الاتجاه الذي مهر فيه حتى جاء العصر الحـديث في بدايات القرن الرابع عشر الهجري وفي مقدمته الشيخ محمد عبده[٢].

---

[1] التعريف بالقرآن والسنة ص: ١٧١؛ التفسير أساسياته واتجاهاته ص: ١٧١؛ مناهل العرفان ص: ٣٤٧.

[2] للاستزادة فيما يتعلق بمراحل التفسير ينظر في تعريف الدارسين بمناهج المفسرين للدكتور الخالـدي، حيـث أبدع حين قسم مراحل التفسير إلى (طور التأسيس، طور التأصيل، طور التفريع، طور التجديد) ص: ٣٥–٤٧؛ التفسير أساسياته واتجاهاته للدكتور فضل عباس حيث تحدث عن التفسير قبل عهد التدوين ص: ١٢١، والتفسير في عصر التدوين ص: ٢٤٦، والتفسير في العصر الحديث ص: ٢٥٣؛ والتفسير والمفسرون للدكتور الذهبي، في حديثه عن التفسير في عصر الرسول ﷺ وأصحابه ص: ٣٢، والتفسير فـي عـصر التـابعين ص: ٩٩، والتفسير في عصور التدوين ص: ١٤٠؛ التعريف بالقرآن والحديث للـشيخ الزفـزاف، ص: ١٦٩ – ١٧٧؛

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وختامًا.. فإن المتتبع لحركة التفسير عند العلماء والاتجاه الغالب على كل عصر من العصور من إنتاج المفسرين ليدرك أن التفسير وليد حاجة العصر، وأن المفسرين إنما أرادوا الإجابة عن عدد من الأسئلة الملحة كل في عصره، وهذا يشير بوضوح إلى التصاق العلماء بواقعهم ومراعاتهم لاحتياجات الواقع، وأن جهودهم لم تكن تنظيرًا كما قد يتوهم بعضهم، بل كانت لخدمة الواقع والمجتمعات التي يعيشون، ومحاولة للنهوض بها من خلال المنهج القرآني.

وحركة التفسير هذه تعطينا بوضوح صورة للتطورات العلمية والفكرية التي اعتورت واقع المجتمعات المسلمة عبر التاريخ.

والنص القرآني وضرورة التفسير للسيد أحمد عبد الغفار، ص: ١٢-٢٦؛ ومناهل العرفان للشيخ الزرقاني، ص: ٣٤٢ – ٣٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

تحرير مصطلح التفسير الأثري وحدوده

وفيه مبحثان:

* **المبحث الأول:** مفهوم التفسير الأثري وأقوال العلماء فيه؛ تحليل ونقد. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى الأثر في اللغة وعند المحدثين والمفسرين

المطلب الثاني: تنوع المصطلح والمؤدَّى واحد

المطلب الثالث: نظرة السابقين لأقسام التفسير المأثور

* **المبحث الثاني:** دراسة ونظر لما شمله مفهوم التفسير المأثور عند العلماء. وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تفسير القرآن بالقرآن

المطلب الثاني: قول الصحابي والتابعي

المطلب الثالث: تفسير القرآن بالسنة

المطلب الرابع: تفسير القرآن بقواعد اللغة العربية

المطلب الخامس: التفسير بالقراءات

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الأول: مفهوم التفسير الأثري وأقوال العلماء فيه، تحليل ونقد

يرى بعض أهل التفسير أن تقسيم العلماء للتفسير إلى تفسير بالمأثور وتفسير بالرأي[1] يدفع إلى التساؤل عن الاعتبارات التي تبنوها في تصنيفهم هذا، والواقع أن هذا التصنيف ليس اعتباطيًا، بل هو نتاج دراسة نقدية تحليلية لعدة تفاسير، ولمفسرين من مختلف الاتجاهات والفرق التي عرفها تاريخ الفكر الإسلامي. وقد مكنتهم هذه الدراسة الموضوعية المتأنية – كالتي قام بها ابن تيمية في "مقدمة في أصول التفسير"، المأخوذة من "فتاواه" – من الوقوف على الأسس العلمية، والقواعد المنهجية التي يتعين علينا اعتمادها عند محاولة تصنيف مناهج التفسير. وهذا المجهود العلمي الجبار يدل على ما يتمتع به منهج علماء أهل السنة المفسرين في البحث من قواعد منهجية تجريبية، تعتمد الوصف والتحليل، والمقارنة والاستنباط، وهي التي مكنتهم من التوصيف العلمي لمناهج التفسير، ويعد كتاب " التفسير والمفسرون " –على ما يؤخذ عليه من مآخذ وملاحظات– نموذجًا لتصنيف التفاسير حسب طبيعتها، وحسب المجالات العلمية التي تنتمي إليها، بما في ذلك التفسير الأثري.

---

[1] يذكر الدكتور عبد الله الجيوسي أستاذ التفسير في جامعة اليرموك الأردنية في مناقشته لهذه الرسالة أنَّ أول من تجده يذكر هذا التقسيم هو ابن تيمية –رحمه الله– لكن ليس هكذا إنما فهم الناس من كلامه أنه يقسِّم أو قصد التقسيم، وعندما رجعت إلى فتاواه وقرأت العديد من عباراته حول هذا الموضوع –لا يتسع المقام لذكرها– وجدتها تحتمل ما فهمه العلماء من بعده إلى يومنا، والله أعلم، راجع مجموع الفتاوى لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ) تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م (٢١/٦؛ ٣٨٩/٦؛ ٤٠٣/٦؛ ٢٨٨/٧؛ ٣٨١/١٣).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنَّ مصطلح التفسير الأثري أو –المأثور– معروف عند العلماء السابقين، لكنَّ تعريفه بأنه: (تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة، وتفسير القرآن بأقوال الصحابة، وتفسير القرآن بأقوال التابعين) تعريف معاصر[١].

وفي استعمال علماء القرآن جُعِلَ مصطلح التفسير بالمأثور هذا مقابلاً للتفسير بالرأي؛ أي أنَّ ما لم يكن من التفسير بهذه الأنواع الأربعة، فهو من التفسير بالرأي، ومن هنا بُنِيَ على هذين المصطلحين تقسيم كتب التفسير، وأخذ التفسير الأثري عند بعض العلماء حلّة القول الذي لا تجوز مخالفته أو حتى القول بغيره، حتى إن ابن عاشور يقول: "أما الذين جمدوا على القول بأن تفسير القرآن يجب أن لا يعدوا ما هو مأثور فهم رموا هذه الكلمة على عواهنها ولم يضبطوا مرادهم من المأثور عن من يؤثر..."[٢].

ولا بد قبل البحث في أقوال السابقين من معرفة كيف تناولوه وما الذي أرادوه، فتحرير محل النزاع مسألة مهمة لا بد منها، وبما أن اللغة أساس يُبنى عليه مفهوم المصطلحات ولا غنى عنها، فإننا نستعين بها على تحرير المسألة.

---

[1] انظر: التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، ١/١٥٢؛ وانظر: التفسير القرآني، محمد رجب البيومي، ص: ٥٥، مجلة الأزهر ١٤٢٤هـ؛ وانظر: لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، محمد بن لطفي الصباغ، ص: ١٧٧، المكتب الإسلامي، ط/١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م؛ وانظر: مناهل العرفان للشيخ الزرقاني ص: ٤٣٠... الخ؛ وانظر: كيف نتعامل مع القرآن العظيم، للدكتور يوسف القرضاوي، ص: ١٩٤، مركز بحوث السنة والسيرة بجامعة قطر، الدوحة، ط/١٤٢٧هـ – ١٩٩٦م؛ وانظر: التعريف بالقرآن والحديث، للشيخ محمد الزفزاف، ص: ١٦٨؛ وانظر: الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير، الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة، ١/١٠٦، مكتبة السنة، ط/٤، ١٤٠٨هـ؛ وانظر: مناهج المفسرين، للدكتور مصطفى مسلم، ص: ٢٣، دار المسلم، الرياض؛ وانظر: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص: ٣٥٨، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط/٣، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م... وغيرهم.

[2] مقدمة التحرير والتنوير، ص: ٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الأول: معنى الأثر في اللغة وعند المحدثين والمفسرين

الأثر في اللغة:

الأثر كما يذكر ابن فارس: "الهمزة والثاء والراء له ثلاثة أصول: تقديم الشيء، وذكر الشيء، ورسم الشيء الباقي؛ والأَثَر: الاستقفاء والاتباع؛ والآثِر بوزن فاعل: المُخبر عن الغير، تقول: أَثَرت الحديث، وحديث مأثور؛ ونقلاً عن أبي عمروٍ قال: طريق مأثور أي حديث الأثر"[١].

والأثر، كما يذكر ابن منظور: "بقية الشيء، والجمع آثار وأُثور؛ والأَثَر: الأجل، سمي به لأنه يتبع العمر؛ والأَثَر: الخبر؛ والأَثْرُ: مصدر قولك أثرت الحديث إذا ذكرته عن غيرك، وأُثْرة العلم وأَثَرته وأثارَتُه: بقية منه أي تروى وتذكر"[٢].

أما لفظة **المأثور** فأقدم ما روي منها ما جاء في لسان العرب –ولم أجدها في مصدر من مصادر الحديث– فلم تُرو إلا عن الإمام عليّ ﷺ وهو: "ولست بمأثور في ديني" أي لست ممن يؤثر عني شر أو تهمة في ديني"[٣].

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام في حديث النبي ﷺ: إنه سمع عمر ﷺ يحلف بأبيه فنهاه عن ذلك – قال: فما حلفت بها ذاكرًا ولا آثرًا[١]. وقوله "ولا آثرًا" ولا مخبرًا عن غيري. ومن هذا قيل: حديث مأثور، أي يخبر به الناس بعضهم بعضًا[٢].

---

[1] معجم المقاييس في اللغة، ص: ٥٧ – ٥٨.

[2] لسان العرب، ٥٢/١ – ٥٤، وانظر هذه المادة في تاج العروس، والمفردات في غريب القرآن، والقاموس المحيط، وتهذيب الصحاح، ومجمل اللغة.

[3] المصدر السابق، ص: ٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتضح مما سبق أن المأثور: يدور حول معنى الخبر المروي، والمنقول عن السلف، ومنه معنى الاتباع والاستقفاء.

الأثر عند المحدثين:

وجدير بالذكر بيان هذا المفهوم عند المحدثين، فالمشهور عندهم أن الأثر يشمل ما رفع إلى النبيّ ﷺ، وما أُضيف إلى الصحابي، وما وُقِف به على التابعي، طبعًا مع وجود شيءٍ من الخلاف حول هذه القضية، لكن ما ذُكر هو المعتمد[٣]. فبعض العلماء جعل الأثر ما يختص بالصحابي[٤].

الأثر عند المفسرين:

وأما الناظر في كتب أهل التفسير فيتضح له أنّ المراد بالتفسير المأثور عندهم: هو المنقول، وكما ذكرت سابقًا حُصِر بالأقسام الثلاثة التي هي نفسها المعتمدة عند أهل الحديث، بالإضافة إلى قسْم آخر وهو تفسير القرآن بالقرآن، وأما الكلام على حجيّة هذه الأنواع، وما يعدّ منها أثريًا وما لا يعد، فيأتي لاحقًا -إن شاء الله.

---

[1] تفسير التابعين عرض ودراسة ومقارنة، للدكتور محمد الخضري، ٣٠/١، دار الوطن، ط/١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، والحديث رواه البخاري، كتاب الأيمان، باب لا تحلفوا بآبائكم، برقم: ٦٢٧١، ٢٤٤٩/٦؛ ورواه مسلم، صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، كتاب الأيْمان، باب النهي عن الحلف بغير الله، برقم: ١٦٤٦، ١٢٦٦/٢، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ج٥، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

[2] المصدر السابق، ٣٠/١.

[3] المصدر السابق، ٣١/١.

[4] انظر: الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، للحافظ ابن كثير، تأليف أحمد شاكر، ص: ٤٣، دار الفكر، ط/١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، نقلاً عن ابن الصلاح في مقدمته الذي عزاه إلى الخراسانيين: أنهم يسمون الموقوف أثرًا؛ انظر: تيسير مصطلح الحديث، للدكتور محمود الطحان، ص: ١٣١، مكتبة المعارف، الرياض، ط/٧، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، حيث ذكر أن فقهاء خراسان يسمون المرفوع خبرًا، والموقوف أثرًا، أما **المحدثون** فيسمون كل ذلك "أثرًا".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا المعنى بإيجاز، وإلا فله دلالات واستعمالات عديدة لكنها لا تعنينا في هـذا المقـام، والمعنى الأهمّ أنه يعود إلى ما أُثرَ عن السابقين، وربما من هذا الوجه نظر بعـضهم إلـى المصطلح حينما حددوا زمنًا معينًا.

المطلب الثاني: تنوع المصطلح والمؤدَّى واحد؛ وهو مدلولات قولهم: (التفسير الأثـري، أو المأثور، أو النقلي، أو تفسير الرواية)

تعددت تسمية العلماء وتنوعت لهذا المصطلح أو هذا النوع من أنواع التفسير، والملاحظ من خلال هذه المشاهدة والمتابعة أنها جميعها تشير إلى ذات المدلول والمقصد، وعليه فإنه لا مشاحة في الاصطلاح في هذا النوع الذي اشتهر بالتفسير بالمأثور.

وفي هذا السياق يشير الباحث عبد الرحمن حللي إلى هذا الموضوع في بحث منشور علـى الشبكة العنكبوتية بقوله: "يتداول الباحثون في علوم القرآن ومناهج المفسرين اصطلاح **التفـسير بالمأثور** للتعبير عن النمط السائد في تفاسير المتقدمين، والمعتمد على المأثورات والمرويات فـي مجال التفسير، وقد درج هذا الاصطلاح المركب بعد استخدام السيوطي (ت٩١١هـ) لـه فـي أشهر كتبه المعتمدة على هذا المنهج وهو تفسيره الموسوم بـ (الدر المنثور في التفسير المأثور)، ولا نجد استعمالاً لهذا الاصطلاح قبل السيوطي في ما تتبعناه، -أي في كتابه الدر المنثور فـي التفسير المأثور- برغم استعمال المتقدمين كلمة **المأثور** كتعبير عما أضيف إلى السنّة أو السلف، وغالبًا ما تذكر في الدعاء أو وصف الأفعال، أما كوصف خاص مضاف إلى التفسير فلم تـرد، لكننا نجد مركبًا أدل على المقصود وهو **التفسير النقلي**"[1]؛ ويشير الباحث نفـسه بـأن أول مـن

[1] «التفسير المأثور»: الاصطلاح والمشكلات والمسارات نحو مجالات العلوم، عبد الرحمن حللي، موقع مسلم أون لاين - الوسطية والشهادة، http://www.moslimonline.com.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استعمله ابن خلدون –من السابقين– (ت٨٠٨هـ)، في مقدمته، واعتبره أحد نوعي التفسير ووصفه بقوله: "تفسير نقلي مستند إلى الآثار المنقولة عن السلف، وهي معرفة الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول ومقاصد الآي. وكل ذلك لا يعرف إلا بالنقل عن الصحابة والتابعين. وقد جمع المتقدمون في ذلك وأوعوا، إلا أن كتبهم ومنقولاتهم تشتمل على الغث والسمين والمقبول والمردود..."[١].

وكذلك درج بعض علماء التفسير المعاصرين على هذين المصطلحين أو التسميتين، فمثلاً يقول الدكتور صلاح الخالدي: "للتفسير بالمأثور اسمان: التفسير بالمأثور، والتفسير النقلي... والمأثور اسم مفعول بمعنى المنقول"[٢]، وبذا نحا نحو الذهبي في تعريفه للتفسير المأثور بأنه يشمل ما نقل عن النبي ﷺ وما نقل عن الصحابة وما نقل عن التابعين.[٣]

في حين أننا نجد من استخدم من العلماء تسمية أخرى لذات المقصود، ففي كتابه (التفسير أساسياته واتجاهاته) يسميه الدكتور فضل عباس **التفسير الأثري**، وكذلك فعل الدكتور فهد الرومي في كتابه (اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري) حيث قال: "نقصد بالمنهج الأثري في التفسير ما يعرف بالتفسير بالمأثور وقد اتفق أهل التفسير إلا فيما ندر على المراد به..."، حتى الدكتور الخالدي في فصل مستقل من كتابه سمّاه **التفسير الأثري النظري**.[٤]

---

[1] مقدمة ابن خلدون، ص: ٥٢٩.

[2] تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، ص: ١٩٩.

[3] التفسير والمفسرون، ١٥٢/١.

[4] التفسير أساسياته واتجاهاته، ص: ١٨٣؛ اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري، الدكتور فهد الرومي، ٥٥٧/٢، رسالة دكتوراه، بإشراف الدكتور مصطفى مسلم محمد، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م؛ تعريف الدارسين، ص: ٣٠١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن جهة أخرى هناك من استخدم تسمية أخرى لذات المدلول وهو العلامة الدكتور يوسف القرضاوي حيث يقول: "من قرأ كتب التفسير عرف أنها نوعان: نوع سمي التفسير **بالمأثور أو بالرواية**، ونوع سمي التفسير بالرأي أو بالدراية[1]".

ولعله بهذه العجالة قد تكون تبيّنت إطلاقات العلماء على هذا النوع من أنواع التفسير، حين يقوموا بدراسته وبحثه أو نقده.

المطلب الثالث: نظرة السابقين لأقسام التفسير المأثور

من الأسئلة المشروعة في هذا المقام، كيف يكون تفسير القرآن بالقرآن مأثورًا، وأنت ترى أنّ الله هو الذي يَمُنُّ علينا بتفسير آيةٍ بآيةٍ، فعمَّن أثرنا هذا التفسير؟! عمَّن أَثَرَ الصحابي أو التابعيّ اجتهاده في تفسير آية ما؟! و أين يقع تفسير أتباع التابعين من هذا المصطلح، وما علّة جعله مأثورًا أو غير مأثور؟! عمَّن أَثَرَ الطبري وابن كثيرٍ وغيرهما تفسيراتِهم القرآنيةِ للقرآنِ واجتهاداتهم الأخرى، وقد صنفت تفاسيرهم من كتب التفسير المأثور؟! بل كيف يكون اجتهاد المتأخرين والمعاصرين، بل واجتهادات أهل البدع الذين يحملون بعض الآي على بعضٍ و يفسِّرونها بها؟! كيف يدخل كلٌّ هذا في المأثورِ...؟

والقرآن قد تضمن من الحكمة والمعارف ما لا يحيط به إلا الله تعالى، وقد حث القرآن نفسه على التفكر والتدبر فيه وقد تبين لأصحاب العقول معارف غامضة قد تضمنتها الآيات ولم يجدوها فيما روي عن السلف فذكروها في تفاسيرهم، أوَ نعدّ ما أنتجته عقولهم مأثورًا...؟

[1] كيف نتعامل مع القرآن العظيم، ص: ١٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإذا كان الأمر كذلك لماذا لا نعدّ اللّغة التي ورثناها عن السابقين من التفسير المأثور؟! والروايات الإسرائيلية المنقولة ما الذي يمنع أن نعدّها مما اصطُلح عليه التفسير المأثور؟! أليست القراءات المتواترة، بل وحتى الشاذة، تدخل بشكل أو بآخر في التفسير المأثور؟! والشيء نفسه مع أسباب النزول...؟! لكن الحال المشاهد الآن، أن التفسير الأثري مقتصرٌ مفهومه على النقاط الأربعة المذكورة سابقًا في بداية هذا المبحث! وهذا كله محلّ دراسة ونظر ونقد!

والذي يتضح لي كما أشرت في بداية الحديث عن هذا المبحث، أنّ الصورة التي أخذها مفهوم التفسير الأثري أو –المأثور– معاصرة، وهي بالتالي غير التي كانت عند السابقين، ومن هنا ينبغي أولاً أن نُفَرِّقَ بين كون القرآن مصدرًا من مصادر التفسير، أو أنه أحسن طرق التفسير، وبين كون التفسير به يُعدُّ من التفسير بالمأثور، والفرق بين هذين واضحٌ، والحال نفسه مع تفسير السنة والصحابي والتابعي!

والذي قرره السابقون في هذا الصدد:

أولاً: ابن تيمية –رحمة الله عليه– في حديثه عن أحسن طرق التفسير، يقول: "وهي تفسير القرآن بالقرآن، ثم بالسنة، ثم بأقوال الصحابة، ثم بأقوال التابعين"[١]

ثانيًا: الزركشي –رحمه الله– فهو لم ينصص على مصطلح التفسير المأثور المعهود، ولا أرى أنه قصد الإشارة إليه، ولكنه أرشد طالب التفسير إلى مآخذ كثيرة أمهاتها أربع، النقل عن رسول الله ﷺ والأخذ بأقوال المفسرين صحابة وتابعين وغيرهم، والأخذ بمطلق اللغة،

[١] ينظر: مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية، تحقيق: عدنان زرزور، ص: ٩٣ – ١٠٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والتفسير بالمقتضى من معنى الكلام والمقتضب من قوة الشرع "الفهم"، ثم يورِد: أنّ للقــرآن نزولاً وتنزّلاً، فالنزول قد مضى والتنزّل باق إلى قيام الساعة...[١]

ثالثًا: ما ذكرته سابقًا عن ابن خلدون –رحمه الله– " تفسير نقلي مستند إلى الآثار المنقولــة عن السلف..."[٢]

كيف أخذ مصطلح التفسير المأثور هذه الصبغة؟

يشير بعض الباحثين وهو الدكتور مساعد الطيار بعد بحث مستفيض، أن أول من اصطلح على التفسير المأثور بمفهومه الحالي، هو الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، حيث ذكر تحت موضوع (التفسير بالمأثور) ما يلي: (هو ما جاء في القرآن أو السنة أو كلام الصحابة تبيانًا لمراد الله من كتابــه) ثم قال: (وأما ما ينقل عن التابعين ففيه خلاف بيــن العلماء: منهم من اعتبره من المأثور لأنهم تلقوه من الصحابة غالبًا ومنهم من قال: إنه من التفسير بــالرأي)[٣]؛ وغالب الكتب المختصة سارت النهج ذاته.

ولقد "ضبط المتأخرون مشمولات التفسير المأثور بأنها ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نُقل عن الرسول ﷺ، وما نُقِل عن الصحابة والتابعين، من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم، وقد انتشر هذا التعريــف مــن

---

[1] ينظر: البرهان في علوم القرآن، ١٥٦/٢ – ١٧٦.

[2] مقدمة ابن خلدون، ص: ٥٢٩.

[3] ورقات على ملتقى أهل التفسير www.tafsir.org للدكتور مساعد سليمان الطيار؛ مناهــل العرفــان ص: ٣٤٠، للشيخ الزرقاني.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خلال الكتاب الأهم في هذا المجال وهو «التفسير والمفسرون» للمرحوم الدكتور محمد حسين الذهبي"[١].

وقد يكون هذا الفهم من خلال النظر في تاريخ علم التفسير حتى عصر التدوين الذي عدّ بعضهم –ما قبله– هو الزمن الذي عني به التفسير المأثور، حيث يقول ابن خلدون –بعد بيان المراد وراء سورة النصر: "... ونقل هذا عن الصحابة ﷺ أجمعين، وتداول ذلك التابعون من بعدهم، ونقل عنهم، ولم يزل ذلك متناقلاً، بين الصدر الأول من السلف، حتى صارت المعارف علومًا، ودونت الكتب، فكتب الكثير من ذلك، ونقلت الآثار الواردة فيه عن الصحابة والتابعين، وانتهى إلى ذلك الطبري والواقدي والثعالبي وأمثاله من المفسرين فكتبوا فيه ما شاء الله أن يكتبوه من الآثار..."[٢]

وأمّا الذي جعل مصطلح التفسير المأثور يأخذ حلته الحالية فهو ما ذكره السابقون من أحسن (طرق التفسير) و(مآخذ التفسير) فتركوا مصطلحَ طرق التفسير إلى مصطلحٍ أحدثوه بدلاً عنه، وهو مصطلح "التفسير بالمأثور"، ونزَّلوا ما ذكرَوه في حديثهم عن طرق التفسير ومصادره على هذا المصطلح الذي اصطلحوا عليه[٣].

---

[1] «التفسير المأثور»: الاصطلاح والمشكلات والمسارات نحو مجالات العلوم، عبد الرحمن حللي، موقع مسلم أون لاين – الوسطية والشهادة، http://www.moslimonline.com.

[2] مقدمة ابن خلدون، ص: ٥٢٩.

[3] بالتأكيد ليس الجميع جعل الموضوع من المسلمات، فها هو الدكتور مساعد الطيار ينشر أبحاثًا وتقارير عديدة حول هذا الموضوع على ملتقى أهل التفسير على الإنترنت www.tafsir.org، وكذلك الدكتور فضل عباس في كتابه أساسيات التفسير ناقش قضية "حدود التفسير الأثري" وخرج برأي مغاير، والدكتور صلاح الخالدي في كتابه تعريف الدارسين، والدكتور عبد الله الجُديْع في كتابه المقدمات الأساسية في علوم القرآن حافظ على نظرة السابقين للتفسير المأثور، وغيرهم ممن بحث ودرس الموضوع.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن خلال النظر في بعض كتب التفسير وعلومه ومناهجه، يظهر لنا أنهم عَنوا بالتفسير المأثور "المنقول"، الخاضع للرواية وأطوارها من زمن النبي ﷺ إلى عصر التابعين، وإن نحن سلمنا –جدلاً– بهذا التحديد الزمني، يبقى في الأمر لبس فهو بالنسبة لنا منقول أو "مأثور"، لكن ما كان من اجتهاد الرسول ﷺ واجتهادات الصحابة والتابعين –الكرام الأطهار– كلٌّ في عصره وزمانه أنسميه –جميعًا– مأثورًا أيضًا[1]!

إذن.. هو بالنسبة إلينا منقول "مأثور" كغيره من التفسيرات التي سلفت قديمًا وحديثًا، ولكنه في الحقيقة والغالب محض اجتهادات وآراء من قِبَل السلف فكيف نعدّه تفسيرًا مأثورًا، أَلمجرد أنه منقول، إذًا لنعدّ تفسير المنار والظلال وابن عاشور وغيرهم من التفسير المأثور! وقد تبين من مفهوم الأثر والمأثور في اللغة سابقًا أن القضية بحاجة إلى ضبط؛ ولعل الأمر يتضح أكثر بالدراسة النظرية العملية لأقسام المأثور المعهودة[2]...

[1] انظر: نحو هذا الكلام بحث بعنوان "علم التفسير"، للدكتور محمد حسين الذهبي، بتصرف، ص: ٤٠ –٤١، من منشورات دار المعارف، بدون سنة طباعة، حيث تكلم عن (حقيقة التفسير المأثور)، واستثنى منه تفسير القرآن بالقرآن، ولكن نعلم أنه أكده في التفسير والمفسرون، ١٥٢/١.

[2] انظر نحو ذلك: قواعد التفسير جمعًا ودراسة، خالد بن السبت، ج١، ص: ١٠٧، دار ابن القيم – الرياض، دار ابن عفان – القاهرة، ط/١، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني: دراسة ونظر لما شمله مفهوم التفسير المأثور عند العلماء:

المطلب الأول: تفسير القرآن بالقرآن

هل تفسير القرآن بالقرآن يعدّ من قبيل التفسير المأثور؟ سؤال مشروع، ولكن قبل الإجابة عن ذلك، نحن نعلم بداهة أن تفسير آية بآية مادتها ثابتة من حيث الورود، فلا تحتاج إلى بحث في الصحة أو الضعف، وثابتة في ألفاظها، فلا تروى بالمعنى، على اعتبار المصدر الرباني للقرآن الكريم، بخلاف المرويات التي يتداخل فيها ما هو بشري، وما هو رباني.

أما الناظر في كتب مناهج المفسرين وعلوم القران المتحدثة عن التفسير ومصادره يجدها تعد تفسير القرآن بالقرآن من قبيل التفسير المأثور الذي لا تجوز مخالفته، وأن القرآن الكريم يفسر بعضه بعضًا، وقد تشابهت عباراتهم وجملهم حول هذا الموضوع، وكأن الأمر أصبح من المسلمات.

ومما يدل على ما ذكرت، ما قاله عالم كبير وله باع طويل في علم التفسير وبيانه، وهو الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي: "نذكّر أن تفسير القرآن للقرآن بإيضاح بعض المجمل من آياته في آية أخرى، وكذلك تفسير رسول الله ﷺ لآيات الكتاب هما من التفسير المأثور قطعًا دون خلاف، ولا معدل عنهما متى تثبت صحة الحديث عن رسول الله ﷺ بالطرق المعروفة! والمأثور هنا هو الحق الذي لا محيد عنه"[1]. إلا أنه يعود فيسأل هل كل ما فسر به القرآن بعضه بعضًا يعد من قبيل التفسير بالمأثور؟! فيبين أن ما كان من التفسير المنطوق

[1] التفسير القرآني، تأليف الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي، ١/٥٥ – ٥٦، هدية مجلة الأزهر لشهر رمضان ١٤٢٥هـ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصريح فهو من هذا القبيل، وإن كان من المفهوم فلا[1]؛ وفي ذلك أصبحت القضية غير منضبطة، فلِواحد أن يعد تفسير هذه الآية بهذه من قبيل المأثور، وقد يرى آخر غير ذلك، بل قد تتعدد الآيات، والله أعلم.

ولكني أودّ أن أسأل في هذا المقام على ما يسمّى "المنطوق الصريح"، فعندما يقول ربنا تبارك وتعالى: {وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ، النَّجْمُ الثَّاقِبُ} هل النجم الثاقب تفسير للقرآن بالقرآن، أو هل قصدت هذه الآية الثالثة تفسير "الطارق" في الآية الأولى والثانية؟! أم أنه أسلوب من أساليب القرآن المتعددة؟ التي لا تهدف إلى التفسير بل إلى بيان المراد بالطارق لا لغة إذ إن اللغة ليس فيها ما يدل على أن من معاني الطارق النجم الثاقب، بل إن هذا يعد من مبتكرات القرآن في الاستعمال كما يشير ابن عاشور في تفسيره للسورة، إذ وصف النجم الثاقب بالطارق لوجه الشبه بين هذا النجم وبين طارق الليل.

إذًا.. يثير "تفسير القرآن بالقرآن" إشكالات، يقتضي حلّها تحديد ماهيته، وبيان الجهة المسؤولة عنه، وتعيين المقدار الذي يدخل في مسماه، والنظر في مدى حجيته.

كما يتبادر إلى الذهن عند إطلاق عبارة "تفسير القرآن بالقرآن" أن القرآن مفسر لنفسه بنفسه، وأن ليس للمفسر البشري دور، سوى جمع ما يراد تفسيره من نصوص بما يفسره منها، وكأن عملية التفسير عملية مغلقة، تتم عن وجود علاقات ثابتة محددة سلفًا، لا دخل فيها للعنصر البشري بنسبيته ومتغيراته[2].

---

[1] المصدر السابق، ص: ٦٢ – ٦٤.

[2] انظر: بحث بعنوان (تفسير القرآن بالقرآن: دراسة في المفهوم والمنهج) أ. سعاد كوريم، باحثة في الدراسات القرآنية بجامعة مولاي إسماعيل، مكناس، المغرب، على ملتقى أهل التفسير http://tafsir.net، ومصدره من

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا شك أن القرآن هو أول مصدر لبيان تفسيره؛ لأن المتكلم به هو أولى من يوضّح مراده بكلامه؛ فإذا تبيّن مراده به منه، فإنه لا يُعدل عنه إلى غيره إذا خالف المعنى؛ وابتداءً يجب الانتباه إلى أن التفسير معناه: كشفٌ وبيانٌ لأمر يحتاج إلى الإيضاح، والمفَسّر حينما يُجْري عملية التفسير، فإنه يبيّن المعنى المراد ويوضّحه، وبالتالي إذا لم يتحقق فيه معنى البيان عن شيء في الآية بآية أخرى، فإنه ليس تعبيرًا مطابقًا لمصطلح "تفسير القرآن بالقرآن".

ثم إن تفسير القرآن بالقرآن لا يعدو أن يكون فهم مفسِّر لآية مستدلاً عليه بآية أخرى، فهو اجتهاد ورأي من المفسِّر؛ ومما يدل عليه أن هناك تفاوتًا وتباينًا بين المفسرين، فمثلاً تفسير ابن عباس أو عمر أو عليّ أو أحد علماء الصحابة الأطهار ﷺ ليس كتفسير غيرهم؛ فالمفَسّر هو الذي عَمَدَ -اجتهادًا منه- إلى الربط بين آية وآية، وجعل إحداهما تفسر الأخرى، وبهذا فإن طريق الوصول إليه هو الرأي والاستنباط - كما سيتبين لاحقًا، وعليه فإنه لا يلزم قبول كل قول يرى أن هذه الآية تفسر هذه الآية، لأن هذا الاجتهاد قد يكون خطأ. وبالتالي لا يمكن القول بحجيّة تفسير القرآن بالقرآن مطلقًا، بحيث يجب قبوله ممن هو دون النبي ﷺ، بل هو مقيد بأن يكون ضمن الأنواع التي يجب الأخذ بها في التفسير، وليس ذلك لأنه تفسير للقرآن بالقرآن، بل لأن المفسِّر به هو النبي ﷺ.

مجلة إسلامية المعرفة (العدد ٤٩) وهو بحث طويل أثارت فيه الكاتبة قضايا جديدة بمنهج تحليلي نقدي مدعم بالدليل والحجة العقلية القوية، حاولت الكاتبة من خلال هذه الدراسة ضبط مفهوم "تفسير القرآن بالقرآن" من خلال تحليل ألفاظه إفرادًا وتركيبًا، مستثمرةً معطيات الدرس اللغوي، وموظفةً لها في استخلاص خصائص القرآن، وخصائص تفسيره وخصائص التفسير به...

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما إن منهج تفسير القرآن بالقرآن يختص بمجموعة من الأدوات الإجرائية، التي يستقل بها عن غيره من مناهج التفسير، ومن ذلك اختصاصه –على سبيل المثال– باعتماد كلّ من الضابطين: السياقي، والموضوعي، في الجمع بين الآيات وبيان بعضها ببعض[١].

وممن ذكر أنَّ تفسير القرآن بالقرآن هو عملية اجتهادية: السيد أحمد عبد الغفار حيث يقول: "إن الناظر في كتاب الله، ويريد التفسير والمعرفة، عليه أن ينظر في القرآن أولاً، فيجمع ما تكرر منه في موضوع واحد، ويحاول أن يقابل الآيات بعضها ببعض، وهنا يمكن أن يستعين بما جاء مفصلاً لما أوجز في موطن من المواطن، هكذا يمكن أن يفسر القرآن بالقرآن والأمر هنا يحتاج إلى تدبر، والى فهم، والى فطنة، واهتمام في محاولة الوصول إلى مقاصد الآي" [٢].

وكذا الدكتور عبد الحق عبد الدائم، فبعد أن يبين ما اشتمل عليه تفسير القرآن بالقرآن من حمل المطلق على المقيد... وغير ذلك يقول: "وهذا العمل لا شك يحتاج إلى بذل جهد وإمعان النظر في القرآن وكثرة التدبر والفهم للآيات القرآنية، هذا ما فعله الصحابة رضوان الله عليهم في تفسيرهم للقرآن الكريم".[٣]

فتفسير القرآن بالقرآن راجع إلى الفهم والنظر والاجتهاد وهذا هو التفسير بالرأي. ويلاحظ أن النبي ﷺ كان يعلم أصحابه مثل هذا النوع من التفسير وذلك حينما قالوا في قوله تعالى: "الذين امنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم" [الأنعام ٨٢].وأينا لم يظلم نفسه؟ فقال لهم: ليس

---

[1] لمزيد من التفصيل ينظر في بحث (تفسير القرآن بالقرآن: دراسة في المفهوم والمنهج).

[2] التفسير ومناهجه والنص وتفسيره، السيد أحمد عبد الغفار، ص: ٤٣، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠م، السيد أحمد عبد الغفار.

[3] التيسير في أصول التفسير، ص: ٢٣، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م، ١٤٢٠هـ دار النشر للجامعات.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذلك المراد، إنما المراد بالظلم: الشرك، أمَا سمعتم إلى قوله تعالى: "إن الشرك لظلم عظيم" [لقمان:١٢]؛ وسيأتي الحديث عن هذا المثال لاحقًا.

وللدكتور فضل عباس تفنيد للقضية، وردود على من عدّ تفسير القرآن بالقرآن من التفسير بالمأثور، يخلص في الآخر إلى أن لا يلحق بالتفسير المأثور، ويكون قسمًا قائمًا برأسه[١].

ويقول الدكتور صلاح الخالدي: "إنّ تفسير القرآن بالقرآن ليس تفسيرًا بالمأثور، لأن المفسر في هذه الخطوة يفسر كلام الله بكلام الله، وليس بكلام البشر من صحابة أو تابعين، أي هو لا يعتمد على البحث والنقل، ولا يتحرى صحة ما ينقل، لأن القرآن محفوظ ثابت لا يحتاج إلى تخريج وتصحيح، فالتخريج والتصحيح والتحري والحرص صفة لازمة للأقوال المأثورة في التفسير، والقرآن لا يحتاج إلى كل هذا؛ فهو ليس من التفسير بالمأثور"[٢].

وهنا ينبغي التنبيه على ما قاله الدكتور الخالدي في قضية، وهي أنه وإن كان لا يعدّ تفسير القرآن بالقرآن مأثورًا، إلا أنه في الوقت نفسه لا يراه تفسيرًا بالرأي والاجتهاد أيضًا، لأن المفسر هو الله تعالى، وإنّ تفسير القرآن بالقرآن مرتبة فوق كل تفسير لا يجوز مخالفتها، وإنما عمل المفسر ينحصر في أنه نظر في آيات القرآن وبيّن دلالة بعضها على بعض، أو بالأحرى فإنه يشير إلى ما يسمى بالتفسير الموضوعي، وضرب لذلك عدّة أمثلة منها مراحل خلق سيدنا آدم[٣]، وبالتالي فإنه ضيّق دائرة الرأي والاجتهاد في عملية تفسير القرآن بالقرآن، وهذا يبقى محل دراسة ونظر.

---

[1] انظر: التفسير أساسياته واتجاهاته، ص: ١٨٧–١٨٨.

[2] تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، ص: ١٤٨.

[3] انظر تعريف الدارسين، ص: ١٤٨–١٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وينبّه ابن عاشور إلى أن تفسير القرآن بالقرآن من التفسير نفسه لا من مدده فقال: "ولا يعد أيضًا من استمداد التفسير ما في بعض آي القرآن من معنى يفسر بعضًا آخر منها، لأن ذلك من قبيل حمل بعض الكلام على بعض كتخصيص العموم وتقييد المطلق وبيان المجمل...الخ".[١]

وقد قال الدكتور خالد السبت في قواعده: "أن تفسير القرآن بالقرآن لا يقطع بصحته إلا إن كان الذي فسر الآية بالآية رسول الله ﷺ، أو وقع عليه الإجماع، أو صدر عن أحد الصحابة ولم يُعرف له مخالف[٢]".

وإن عدّ الدكتور أن للاجتهاد مدخل في تفسير القرآن بالقرآن ولكن ليس على الإطلاق حيث قال: "وما عدا هذه الصور لا يجزم بصحته لأنه اجتهاد من قائله يخطئ فيه ويصيب..."[٣]، وهنا تحفظ على ما سوى تفسير النبي ﷺ للقرآن بالقرآن، لأنه قد يكون تسرعًا أن نسوّي تفسيره ﷺ بغيره حتى لو كان إجماعًا أو عن أحد الصحابة الكرام، فهل تفسيرهم ﷺ يقطع به إن كان رأيًا؟

ويقول مصطفى بو هندي: "إن تفسير القرآن بالقرآن عملية اجتهادية قابلة للصواب والخطأ. ويقول أيضًا: إن أكثر التفسيرات القرآنية التي يعتقد أنها تفسير للقرآن بالقرآن إما

---

[1] المقدمة في التحرير والتنوير، ص: ٢٧، كما وينبّه في ذات السياق أن الآثار الواردة عن النبي ﷺ في تفسير آيات، وما ورد عن الصحابة في ذلك من التفسير لا من مدده.

[2] قواعد التفسير، ١٠٩/١.

[3] قواعد التفسير، ١٠٩/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنها استشهاد لتوجيه لغوي أو توجيه قراءات أو توجيه فقهي، أو استشهاد لأثر أو رأي، فيكون النص بذلك مجرد أداة ثانوية تستعمل لعضد تفسير ما، قد يكون صحيحًا أو خاطئًا"[1].

وهنا لا يُسلّم للكاتب بتعميمه وتغليبه عندما قال: "أكثر"، أما عبارته أن "النص مجرد أداة ثانوية" تحمل من القسوة ما تحمل، فحقيقة تفسير القرآن بالقرآن أنها تجعل النص أداة رئيسة تعضد التفسير، لا ثانوية كما قال.

وأتساءل هنا.. إنْ قُصد بتفسير القرآن بالقرآن إنما نزل ليفسّر بعضه بعضًا، فهل توجد رواية صحيحة صريحة في تاريخ القرآن و نزوله مثالاً يبين أنّ آية جاءت لتفسير آية؟ وحتى لا يكون ذلك تسرعًا فإنه لو وجد سيكون نزرًا يسيرًا؛ وأما إن أريد به –تفسير القرآن بالقرآن– استشهادٌ على المعنى المستنبط من الآيات باستعمال هذا اللفظ بهذا المعنى في موضع آخر فما ذلك إلا تفسير بالرأي أسنده القائل به بدليل من القرآن كما يمكن أن يسند رأيه بدليل من اللغة العربية أو غيرها، وذلك لا يخرج من إطار التفسير بالرأي في حال من الأحوال.

وبالنظر في بعض الأمثلة –بإيجاز– تتجلى الصورة أكثر، وقد اخترتها من سورة الفاتحة، حيث إنها فسّرت بآيات من سور القرآن المتعددة، على اعتبار أن الفاتحة "أم الكتاب" وهي إجمال لموضوعات باقي سور القرآن:

أ. نقرأ في قوله تعالى {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} [الفاتحة:٤] إن "يوم الدين" مجمل في هذه الآية، وبيّن هذا الإجمال قوله تعالى: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ، ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ، يَوْمَ لَا

[1] نحن والقرآن، ص: ٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ} [الانفطار:١٧-١٩]؛ أو تفسيرها أي {ملِك يوم الدين} بأنه هو {مالك يوم الدين} فهذا تفسير مرده إلى اللغة العربية.

ب. كذلك في قوله تعالى: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} [الفاتحة:٦] فما هو الصراط المستقيم، الذي يطلب المؤمنُ من الله أن يثبته عليه؟ قد بيّن الله تعالى ذلك في سورة الأنعام في قوله تعالى: {وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله}، [الأنعام:١٥٣][1]، والآية نفسها فُسِّرَت بقوله تعالى: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} [النساء:٦٩].

ج. قوله تعالى: {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ} [الفاتحة:٧]؛ فسّرَ بقوله تعالى: {قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ} [المائدة:٦٠].

---

[1] ذكره الدكتور صلاح الخالدي في كتابه تعريف الدارسين ص: ١٦٣ على أن الصراط مجمل في سورة الفاتحة، لكنه مبيّن في سورة الأنعام، وهنا يُتساءل أليس هذا محض اجتهاد من المفسر؟! ولم لا تكون الآية التالية هي المفسرة {صراط الذين أنعمت عليهم...}؟ لا يهم إن كان الاستدلال صواب أو خطأ، لكن المهم أن هذا تفسير وربط قام به المفسر بجهده ورأيه ويمكن معارضته، إذ لا دليل على أن هذه الآية فسرت تلك أو تلك غير دليل النظر والرأي، والله أعلم. وللاطلاع على المزيد من الأمثلة التي عدّت من تفسير القرآن بالقرآن يُنظر في تعريف الدارسين، ص: ١٤٨-١٧٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

د. قوله تعالى: {وَلَا الضَّالِّينَ} [الفاتحة:٧]؛ فسّرَ بقوله تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ} [المائدة:٧٧] [1].

هـ. وهذه جملة سريعة من الأمثلة على ما عُدّ أنه تفسير للقرآن بالقرآن، قوله تعالى: {فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ}، [البقرة:٣٧] قد فسر بقوله: {قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا}، [الأعراف:٢٣] الخ؛ وقوله تعالى: {أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ}، [المائدة:١] فسّر بقوله تعالى: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ}، [المائدة:٣]؛ وقوله تعالى: {وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ}، [البقرة:٤٠] قيل "عهده" فسّر بقوله تعالى: {لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآَتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآَمَنْتُمْ بِرُسُلِي}، [المائدة:١٢]؛ وقوله تعالى: {لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ}، [الأنعام:١٠٣] فسّره آية {إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}، [القيامة:٢٣] أي لا تحيط به؛ وفي القرآن أمثلة كثيرة من ذلك[2].

وليس النقاش في صواب الاستدلالات السابقة أو عدمه فهذا ليس محلّه، ولكن نلاحظ أن بعضها صريح وبعضها غير ذلك، فمثلاً لو سألنا أي مسلم، متعلم أو غير متعلم، وحتى الصغير.. ما هو يوم الدين؟ لأجاب بيوم القيامة؛ إلا أن الأمر أنه لا يوجد دليل على أن المراد بالآية الأولى –مثلاً– هو ما ورد في الآية الأخرى من سورة الانفطار غير دليل الفهم والنظر والاستدلال والاستشهاد بالآيات على بعضها؟! وكذا الحال مع سائر الآيات. وبالتالي نلحظ أنّ ما يسميه العلماء تفسير القرآن بالقرآن هو تدليل على ما ذهب إليه المفسر في فهمه

---

[1] مع العلم بأن هناك رواية عند الترمذي بحديث حسن غريب، وهو حديث طويل عن عدي بن حاتم، عن النبي ﷺ قال: "اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضلّال"، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة الفاتحة، برقم: ٢٩٥٤، ٥/٢٠٤.

[2] مقتبسة من كتاب منهج الفرقان في علوم القرآن، للشيخ محمد علي سلامة، ٢/١٠، دار نهضة مصر، القاهرة، ط/٢٠٠٢م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للآية لما ورد في آية أو آيات أخرى، وقد يحظى بالقبول في طريقة فهم النص كما يمكن أن يعارض بفهم آخر مباين له.

وبالتالي لا يمكن الجزم بأن تفسير القرآن بالقرآن هو أقوى التفاسير على الإطلاق؛ فكونه مستمدًا من القرآن الكريم نفسه، لا يكفي لتحديد مستوى حجيته، لأن ذلك المستوى تابع لمستوى مؤهلات المفسِّر؛ إذ هو المسؤول عن الربط بين آيات القرآن الكريم. فالتفسير بطبيعته، عملية مركبة تتدخل في تشكيل نتيجتها أمورٌ منها: تصورُ المفسر لحدود عمله، وتصورُه للنص القرآني وطبيعته، وتصورُه للتفسير ووظيفته[1].

ومن هذا المنطلق فإن أصح ربط تفسيري بين آيات القرآن الكريم، هو الربط الصادر عن رسول الله ﷺ فيما صح عنه من الروايات، والذي يمكن أن نسميه "البيان النبوي للقرآن بالقرآن"[2]، أمّا مَا عداه من ربط، فإن تقييمه يكون بناء على ملاحظة مدى قربه أو بعده المنهجي من ذلك البيان النبوي.

المطلب الثاني: قول الصحابي والتابعي

أما بالنسبة لقول الصحب الكرام ومن تبعهم بإحسان، فهل يدخل كله في دائرة التفسير بالمأثور؟ أم إن ما يدخل منه ينحصر فيما رفع إلى النبي ﷺ وهو قليل العدد؛ أي هل يشمل التفسير بالمأثور كل ما روي عن الصحابة الكرام –كابن عباس وابن مسعود– والتابعين – كقتادة ومجاهد– وتابعيهم؟ وفي هذه الحالة ألَا يشكل على هذه النسبة للروايات أنها إما أن ترجع إلى نقل عن النبي ﷺ فلا تكون أصيلة لهم! أوْ لا تستند إلى نقلٍ عنه ﷺ فتكون من

[1] انظر بحث أ. سعاد كويرم.

[2] المصدر السابق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جملة التفسير بالرأي من عند أنفسهم ويكون التفسير بالأثر مختصًا فقط بالقليل المروي عن النبي ﷺ!

وعليه فإن الكثير من التفاسير تخرج عن اعتبار كونها تفاسير بالأثر، ولا يكاد يترك في هذا القسم إلا ما ورد من أبواب التفسير في ثنايا كتب الحديث كالبخاري وجامع الترمذي وغيرهما معزوًا إلى النبي ﷺ قولاً أو فعلاً أو إقرارًا!!

وهنا يمكن تقسيم كلام الصحابي في التفسير إلى:

أولاً: الروايات في أسباب النزول، فمعروف أنّ مشاهدة الوقائع والأحداث التي تنزلت الآيات على إثرها لا يمكن أن تتأتّى لغيرهم، فهُم هنا مجرد ناقلين أمِيْنيْن؛ ولذا.. الأصل أن ما ورد من هذا الباب مَحَلّهُ القبول بلا خلاف – إن صح وكان صريحًا ولم يتعارض أو يناقض ما هو أصح منه من الروايات –[1] لأن الصحابي يكون قد حضر سبب النزول، أو عايش الأحوال التي نزل بشأنها القرآن، أو أن يكون قد سمعه من صحابي آخر، والصحابة كلهم ثقات عدول في النقل – لا شك في ذلك.

ثانيًا: الروايات المرفوعة إلى النبي ﷺ، وقد يقع تفسيره ﷺ جوابًا لأسئلتهم، أو أن يفسّر لهم ابتداءً، وسواء أكان مرفوعًا – ما يروونه – أم له حكم المرفوع، فمرجع ذلك إلى أفصح العرب ﷺ؛ كالذي يروونه من المغيّبات، والتي تشمل ما مضى، وما سيكون، والأخبار

[1] انظر: إتقان البرهان في علوم القرآن، الدكتور فضل حسن عباس، ٢٨٩/١، ٣١٦/١، دار الفرقان، ط/١، ١٩٩٧م؛ الوجيز في علوم الكتاب العزيز، الدكتور محمد خازر المجالي، ص: ٦٩ – ٧٠، منشورات جمعية المحافظة على القرآن الكريم، الأردن، ط/١، ٢٠٠٤م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الماضية، وهذه إما أن يكون مصدرها الرسول ﷺ، وهو المراد[1]، وإما أن يكون مصدرها أهل الكتاب، وسيأتي الحديث عن موقف الصحابة من الإسرائيليات.

ثالثًا: ما جاء عن الصحابة مما يتعلق بالفهم والاجتهاد (الاستدلال)، وهذا ما أردت من هذا المبحث بيانه، إذ الصحابة رضوان الله عليهم أُوْتُوا من الدراية بالقرآن ما لم يؤت أحد بعدهم، ولا عجب، فهُمُ العرب الخلّص[2]، وبلغتهم نزل القرآن، وشهدوا التنزيل وصحبوا الرسول الكريم ﷺ، فتربوا على القرآن من خلاله ﷺ، وهم من زكاهم الله، وهم الأمناء على الوحي، فبالضرورة أن يكونوا أعلم الناس بكتاب الله بعد نبيّه ﷺ[3]، وبعد هذا لنا أن نتخيل أية قدرة كانت عندهم على الاستنباط والفهم والاجتهاد والرأي في تفسير النص القرآني.

فلماذا نرى العديد من الكتب تخص زمن التابعين بالاجتهاد في التفسير، وكأنّ الحال مع الصحابة لا دور للعقل فيه لفهم النص، وهذا يشعر بإنقاص من قدر الصحابة حين نسلبهم القدرة الفذة في الفهم والاستنباط والاجتهاد في فهم القرآن؟![4]

ومن الأمثلة الواضحة على اجتهاد الصحابة في التفسير ما رواه البخاري – رحمه الله – في صحيحه: (قَالَ عُمَرُ ﷺ يَوْمًا لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَ تَرَوْنَ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ: {أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ} [البقرة:٢٦] قَالُوا: اللَّهُ أَعْلَمُ، فَغَضِبَ عُمَرُ ﷺ فَقَالَ: قُولُوا نَعْلَمُ أَوْ لَا نَعْلَمُ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ: فِي نَفْسِي مِنْهَا شَيْءٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ عُمَرُ: يَا ابْنَ أَخِي قُلْ وَلَا

---

[1] انظر نحو هذا مقدمة التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص: ٢٣ – ٢٤.

[2] إلا نفرٌ قليل منهم كصهيب وبلال وسلمان ﷺ، على أن العربي من نطق بالعربية.

[3] راجع نشأة التفسير في الرسالة، حيث كان اجتهاد الصحابة الكرام في عهد النبي ﷺ، وهناك العديد من الأمثلة على مصادر التفسير عند الصحابة، انظر كتاب تفسير الصحابة، للدكتور عبد الله أبو السعود بدر، ص: ١٣٦ – ١٨٩، دار ابن حزم، بيروت، ط/١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

[4] انظر التفسير أساسياته واتجاهاته، ص: ١٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تَحْقِرْ نَفْسَكَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ضُرِبَتْ مَثَلًا لِعَمَلٍ، قَالَ عُمَرُ: أَيُّ عَمَلٍ؟ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لِعَمَلٍ، قَالَ عُمَرُ: لِرَجُلٍ غَنِيٍّ يَعْمَلُ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ لَهُ الشَّيْطَانَ فَعَمِلَ بِالْمَعَاصِي حَتَّى أَغْرَقَ أَعْمَالَهُ)[1].

وقد ساعدهم على الاجتهاد وقوة الاستنباط –بالإضافة إلى اتّقاد الذهن وصفاء السريرة وقرار النفس–، أدواتٌ كانت متوفرة عندهم، من مثل[2]:

١. معرفة أوضاع اللغة وأسرارها.

٢. معرفة عادات العرب.

٣. معرفة أحوال اليهود والنصارى في جزيرة العرب وقت نزول القرآن.

٤. معرفة أسباب النزول وما أحاط بالقرآن من ظروف وملابسات.

٥. قوة الفهم وسعة الإدراك التي منّ الله تعالى عليهم بها وبدعاء الرسول ﷺ لبعضهم بالعلم. وهذا كله يعضد ويقوي ترجيح تفسير الصحابة على ما سواه ولو كان اجتهادًا.

ولقد جاءت تفسيرات الصحابة الكرام بطرق عدة، منها:

أولاً: تفسير القرآن بالقرآن: وقد سبق الحديث عن أن تفسير القرآن بالقرآن مرجعه إلى الرأي والنظر والاستنباط، وذلك أن ربْط الصحابي بين آية وأخرى كان معتمدًا على العقل، ولو كان عنده سندٌ إلى رسول الله لذكره، وقد اقتدى الصحابة بمعلمهم ﷺ في تفسير القرآن

[1] رواه البخاري، في كتاب التفسير بَاب قَوْلِهِ: {أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ إِلَى قَوْلِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ}، برقم: ٤٢٦٤، ٤/١٦٥٠.

[2] انظر: علم التفسير، الدكتور محمد حسين الذهبي، ص: ٢٢ – ٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالقرآن، حين أزال الإشكال من نفوسهم في قوله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ} [الأنعام:٨٢] حيث أُسند إلى الرسول ﷺ.

ومن الأمثلة الواردة عنهم في تفسير القرآن بالقرآن ما ورد عن عمر بن الخطاب في تفسير قوله تعالى: {وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ} [التكوير:٧] قال: تزويجها: أن يؤلف كل قوم إلى شبههم، وقال: {احْشُرُوا الَذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ} [الصافات:٢٢][1]. وكتب التفسير مليئة بالأمثلة لابن عباس وابن مسعود وغيرهما، خاصة تفسير الطبري وابن كثير والدر المنثور... وغيرها.

ثانيًا: تفسير القرآن بأقوال الرسول ﷺ مما ليس نصًّا في التفسير: ومعتمد الصحابي هاهنا العقل، وذلك لأن الصحابي يجتهد في ربط الحديث بمعنى الآية[2].

ويكون إما بإدراج الحديث ثم الآية أو العكس، من أمثلته: ما رواه البخاري عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: (فضل صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة، وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الصبح) يقول أبو هريرة: (اقرؤوا إن شئتم: {وَقُرْآنَ الفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا}[3].

---

[1] انظر: تفسير الطبري، ٢٤٦/٢٤؛ وانظر: الدر المنثور للسيوطي، ٤٢٩/٨.

[2] وهذه من المشكلات التي تناقشها الرسالة، إذ تفسير آية بحديث حتى لو كان صحيحًا، قد لا يكون له تعلق بها، فيؤدي ذلك إلى المعنى غير المراد من الآية، وسيأتي الحديث عليه بالتفصيل في مبحث قادم.

[3] صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله إن قرآن الفجر كان مشهودًا، برقم: ٤٧١٧، ٨٦/٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فنلاحظ أنّ أبا هريرة ﷺ نزّل الحديث على معنى الآية، فجعل اجتماع الملائكة هو الشهود الذي يحصل في صلاة الفجر[١].

ثالثًا: التفسير بأسباب النزول، وهو يعدّ عند كثير من علماء الحديث مرفوعًا[٢]، فكان الصحابة يستخدمون أسباب النزول في تفسيرهم لإزالة الإبهام عن معنى الآية[٣].

ومن أشهر أمثلته ما حصل في إحدى معارك المسلمين مع الروم في مدينة القسطنطينية، حين حمل أحد المسلمين على الأعداء، فقال المسلمون: ألقى بنفسه إلى التهلكة، يتأولون قوله تعالى: {وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} فقام الصحابي الجليل أبو أيوب الأنصاري معترضًا على هذا التأويل قائلاً: "يا أيها الناس إنكم تتأولون هذه الآية هذا التأويل إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما نصر الله نبيه وأظهر الإسلام قلنا هلم نقيم في أموالنا ونصلحها، فأنزل الله تعالى: {وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} فالإلقاء بالأيدي إلى التهلكة أن نقيم في أموالنا ونصلحها وندع الجهاد"[٤].

---

[1] للاطلاع على العديد من الأمثلة التي تبيّن لجوء الصحابة إلى السنة النبوية يلتمسون فيها الحل المنشود لما يواجههم من قضايا فقهية وتفسيرية، ينظر: كتاب تفسير الصحابة، للدكتور عبد الله أبو السعود بدر، ص: ١٤٢– ١٥٩.

[2] انظر: المقدمة، لابن الصلاح، ص: ١٢٨ – ١٢٩، تحقيق د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، دار الكتب المصرية، ط/١٩٧٤م؛ وانظر: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، للسيوطي، ١/١١٢–١١٣، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، ط/٢، ١٣٩٢هـ – ١٩٧٣م؛ وانظر: فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، للعراقي، ٦٣/١، تحقيق محمود ربيع، دار الكتب السلفية، القاهرة، ط/٢، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م؛ اختصار علوم الحديث، لابن كثير، ص: ٤٧، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، القاهرة، ط/٢، ١٣٧٧هـ – ١٩٥٨م؛ وانظر: الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، تأليف أحمد شاكر، ص: ٤٥، دار الفكر، ط/١، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

[3] انظر: تفسير الصحابة، ص: ١٦٤.

[4] سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة البقرة، برقم: ٢٩٧٢، ٢١٢/٥؛ وأخرجه أبو داود في سننه، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، كتاب الجهاد، باب في قوله تعالى: {ولا تلقوا بأيديكم إلى

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رابعًا: التفسير اللغوي(المحتملات اللغوية): فالقرآن بلغتهم نزل، وهم ما زالوا على تلك المرتبة العالية في البلاغة والفصاحة والبيان، وقد وضعت المحتملات اللغوية احترازًا، فهناك لفظ لا يحتمل إلا معنى واحدًا وهذا لا اجتهاد ولا رأي فيه، فليس هو المراد، بل المراد ما يحتمل أكثر من معنى، والسياق محتمل لها جميعها، ففي مثل هذا يكون التّميّزُ وإعمال الرأي اعتمادًا على المعنى اللغوي، ومن أمثلة ذلك: ما ذكره الطبري في تفسير قوله (تعالى): {خِتَامُهُ مِسْكٌ} [المطففين:٢٦] أن فيه ثلاثة أقوال، اثنين منها عن صحابيين:

القول الأول: بمعنى خِلْطُهُ، وهذا قول ابن مسعود ﷺ، قال: (أما إنه ليس بالخاتم الذي يختم، أما سمعتم المرأة من نسائكم تقول: طيب كذا وكذا خلطه مسك).

والقول الثاني: بمعنى: آخر شرابهم، وهذا قول ابن عباس ﷺ، قال: (طيّب الله لهم الخمر، فكان آخر شيء جعل فيها حتى تختم بالمسك)[1].

رابعًا: المحتملات المرادة في الخطاب القرآني، أو ما يرجع إلى احتمال النص القرآني أكثر من معنى[2].

التهلكة}، برقم: ٢٥١٢، ١٦/٢، دار الفكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ج٤؛ جامع البيان، للطبري، ٥٩٠/٣.

[1] انظر أقوالهم في تفسير الطبري، ٢٩٦/٢٤ – ٢٩٧.

[2] انظر: تفسير الصحابة، للدكتور مساعد الطيار، ملتقى أهل التفسير http://www.tafsir.net؛ للاطلاع على العديد من الأمثلة على التفسير الاجتهادي للصحابة، سواء كان في تفسير آيات الأحكام أو آيات أخرى في موضوعات متنوعة، ينظر في كتاب تفسير الصحابة، للدكتور عبد الله أبو السعود بدر، ص: ١٨٤ – ١٨٩؛ وكتاب التفسير أساسياته واتجاهاته، للدكتور فضل عباس، ص: ١٦٠ – ١٦٧ فيه العديد من النماذج على مرويات الصحابة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن أمثلة ذلك: تفسيرهم لقوله تعالى: {لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ} [الانشقاق:١٩]، ورد في قوله ((لَتَرْكَبُنَّ)) قراءات، منها: فتح التاء والباء[1]، وقد اختلف في: من وُجِّه إليه الخطاب؟ على قولين:

الأول: أن الخطاب موجّه للرسول ﷺ، واختلف في معنى ((طَبَقًا عَن طَبَقٍ)) على هذا القول على معنيين:

١.لتركبن يا محمد حالاً بعد حال، وأمرًا بعد أمر من الشدائد، وهذا مروي عن ابن عباس.

٢.لتركبن يا محمد سماءً بعد سماءٍ، وهذا مروي عن ابن مسعود.

الثاني: أن الخطاب موجّه للسماء، والمعنى: أنها تتغيّر ضروبًا من التغيّر: تتشقق بالغمام مرّة، وتَحْمَر أخرى، فتصير وردة كالدهان، وتكون أخرى كالمهل، وهذا مروي عن ابن مسعود من رواية مرة الهمذاني وإبراهيم النخعي[2].

في هذا المثال تجد لابن مسعود قولين في تحديد المخاطب، ومن ثم يوافقه ابن عباس في الأول من هذه الجزئية، ثم يخالفه في معنى الركوب طبقًا عن طبق.

وما كان ذلك الاختلاف إلا لاحتمال النص المعاني المذكورة، فأبدى كل واحد منهما أحد هذه المحتملات.

---

[1] انظر: الميسر في القراءات الأربع عشر، محمد فهد الخاروف، مراجعة محمد كريّم راجح، ص: ٥٨٩، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط/٤، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

[2] انظر: تفسير الطبري، ٣٢٢/٢٤ – ٣٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبالتالي إن كان الأثر شاملاً لما روي عن الصحابة، وهذا أحد إطلاقات الأثر عمومًا كونه منقول عند العلماء، يلزم من بعدُ أن نقسم هذه الآثار، فمنها ما هو مقبول ومنها ما هو محل نظر؛ أما إن كان الأثر لا يشمل إلا ما نقل عن النبي ﷺ، فلا إشكال أصلاً.

وما قيل في حق الصحابة ﷺ فمن باب أولى في حق التابعين، مع العلم بأن معظم المأثور في التفسير عنهم –رحمهم الله– ولا يخفى الفرق بين تفسير الصحابي وتفسير التابعي، وحتى لا يطول الحديث قصرته عن الصحابي، مع الإشارة بقول التابعي.

إنَّ هذا التقسيم للتفسير المأثور يترك إشكالاً وجدلاً، ألا وهو: من أي حيثية جعلنا هذا تفسيرًا بالمأثور وهذا ليس بالمأثور؟! هل باعتبار نوعه (بالسنة، بالقرآن، قول الصحابي، قول تابعي)؟؟ وقد رأينا أن هذا فيه خلل في التقسيم، وغير منضبط كذلك؛ أم هل باعتبار زمني (زمن النبي ﷺ، زمن الصحابة الكرام، زمن التابعين، تابع التابعين... الخ)؟؟ وهذا أيضًا غير منضبط، فلماذا لا نعد كل ما نقل إلينا حتى لو كان من تفاسير المعاصرين أمثال رضا وقطب وابن عاشور والشعراوي – رحمة الله عليهم – من التفسير المأثور، والمعنى يحتمل ذلك، كونه منقولاً! فمن الذي حدد، وهل تحديده ملزم لنا؟!

وهناك من أكدّ من خلال قوله بحصر المفهوم باعتبار زمني، وهو الدكتور صلاح الخالدي حيث قال: " التفسير المأثور الذي يتحقق فيه معنى المأثور في اللغة والاصطلاح هو ما روي عن الرسول ﷺ، أو الصحابة ﷺ، أو التابعين – رحمهم الله، من روايات نقلية مروية في تفسير القرآن"[1].

[1] تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، ص: ٢٠٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مع أن هذا القول يبقى محل نقد ونظر، والدكتور الخالدي نظر إلى الأمر على أساس كونه منقولاً لنا، وعلى أساس معنى النقل في اللغة وهو: التبليغ، فالقضية كأنها شكلية فهو في الأصل اجتهاد وإن كان منقولاً أو العكس، وحددها زمنيًا من خلال حديث الإمام مسلم: "سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ قَالَ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ..."[1].

ولا أرى القضية هنا تتعلق بالخيرية بقدر ما هي مسألة علمية، وليست الدلالة واضحة في الحديث على تحديد المأثور بهذه الفترة، فضلاً عن أن المأثور في اللغة يشمل كلّ ما سبق، ولا سيما كذلك أنه عدّ التفسير بالرأي – بعد أن عرفه لغة واصطلاحًا بأنه اجتهاد – مقابلاً التفسير المأثور! والله أعلم.

كما أنبِّه هنا إلى ذكره الزركشي –صاحب البرهان في علوم القرآن– في كتابه النكت على مقدمة ابن الصلاح نقلاً عن الخطيب وأبو منصور البغدادي: " إذا أخبر الصحابي عن سبب وقع في عهد النبي صلى الله عليه وسلم أو أخبر عن نزول آية فيه فذلك مسند لكن قال الحاكم في المستدرك تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل عند البخاري ومسلم حديث مسند والتحقيق أن يقال إن كان ذلك التفسير مما لا مجال للاجتهاد فيه فهو في حكم المرفوع وإن كان يمكن أن يدخله الاجتهاد فلا يحكم عليه بالرفع"[2].

---

[1] صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ﷺ عنهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، برقم: ٢٥٣٣، ١٩٦٢/٤؛ وكان الشيخ قد استدل بهذا الحديث من خلال لقاء علمي، مايو ٢٠١٠م.

[2] النكت على مقدمة ابن الصلاح، للزركشي، ٤٣٤/١ – ٤٣٥، تحقيق: د. زين العابدين بن محمد بلا فريج، أضواء السلف – الرياض، ط١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حكم تفسير الصحابي:

من المعروف بداهة أن كلَّ من رأى الرسول صلى الله عليه وسلم وآمن به وصدقه ومات على ذلك هو من يطلق عليه مصطلح الصحابي[١]، أمَّا نقل ما عنهم، فإنْ كان من عند أنفسهم ولم يقع الإجماع عليه، فللْمفسر من المتأخرين الأخذ به أو رده بحسب ما يؤدي إليه نظره، لأنه كما عُلم في الأصول إن قول غير النبي ﷺ ليس بحجة، وما كان من أقوالهم منقولاً عن النبي ﷺ أو ما له حكم المرفوع، فحكمه معروف بأنه حجة إن صح وكان صريحًا.

وقد ناقش العلماء حجية قول الصحابي في التفسير، وخرجوا بآراء حول هذه القضية، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر:

١. يقول أبو حيّان معترضًا على عدّ تفسير التابعين من المأثور: "وقد جرينا الكلام يومًا مع بعض من عاصرنا، فكان يزعم أن علم التفسير مضطر إلى النقل في فهم معاني تراكيبه بالإسناد إلى مجاهد وطاووس وعكرمة وأضرابهم؛ وأن فهم الآيات متوقف على ذلك، والعجب له أن أقوال هؤلاء كثيرة الاختلاف متباينة الأوصاف متعارضة ينقض بعضها بعضًا"[٢].

٢. ما ذكره ذكره الرافعي – رحمه الله – حيث قال: "ولا يتوهمن أحد أن نسبة بعض القول إلى الصحابة نص في أن ذلك القول الصحيح ألبتة، فإن الصحابة غير معصومين، وقد

---

[1] انظر مثلاً: الباعث الحثيث إلى اختصار علوم الحديث، ص١٩١

[2] البحر المحيط، ٥/١؛ وسيأتي نقاش هذه القضية إن شاء الله عند الحديث عن (حصر الدلالة بما أُثر) وما يترتب على هذه الإشكالية من مشكلات.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جاءت روايات صحيحة بما أخطأ فيه بعضهم من فهم أشياء من القرآن على عهد رسول الله ﷺ وذلك العهد هو ما هو..."[١].

٣. ما قاله في هذا الأمر العلامة القرضاوي: "فإذا اختلفوا، فقد أتاحوا لنا أن نتخير من بين آرائهم ما نراه أقرب إلى السداد، أو نضيف إلى أفهامهم فهمًا جديدًا، لأن اختلافهم قد أعطانا دليلاً، على أنهم فسّروا برأيهم واجتهادهم، وهو رأي بشر غير معصوم على كل حال"؛ كما ويشير إلى أن بعض العلماء أوجب الأخذ بتفسير الصحابي – ولو واحدًا – لأنه من باب الرواية لا الرأي، وقد نقل هذا الرأي من "البرهان"[٢]. وهي القضية التي نوقشت في هذا الفصل.

٤. إذا كان بعض العلماء يعدّ تفسير الصحابي والتابعي من المأثور، فكيف يختلفون إذن في فهم الآية الواحدة؟ وفي هذا يقول الفراهي: " فاعلم أن الصحابة والتابعين –رضي الله عنهم أجمعين– قد اختلفوا كثيرًا في التأويل مع تقارب خطاهم، فلو أخذوا تأويلاتهم عن النبي ﷺ لما اختلفوا؟ ولكنهم أخذوها عن علمهم باللسان، واقتصارهم على علمهم بنظائر الآيات، وعلمهم بالسنة وعن بصيرة يعطيها الله عباده، ولذلك ترى أنهم يتقاربون في المآل. وبالجملة فإنهم لم يؤولوا القرآن بالرأي المذموم الذي لا مستند له في الكتاب والسنة ولسان العرب."[٣]

٥. في حين أن في عصرنا من حسم القضية عنده، وهو الدكتور فضل عباس حيث يبَيُّن رأيه: "أن التفسير بالمأثور يشمل فيما يشمل ما كان بيانًا لمناسبة نزلت فيها آية، أو

---

[1] تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، ٣١/٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥م.

[2] كيف نتعامل مع القرآن العظيم، يوسف القرضاوي، ص: ٢١٥.

[3] التكميل في أصول التأويل، للإمام حميد الدين الفراهي – رحمه الله –، تحقيق وتخريج محمد سميح مفتي، ص: ١٣، نسخة غير مطبوعة – مصفوفة على الكمبيوتر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

توضيحًا لمعنى مبهم يبينه الرسول الكريم ﷺ، وغير هذا لا يعد من التفسير بالمأثور، حتى لو روي عن أعظم الصحابة، وأعلمهم، وليس ذلك تقليلاً من شأنهم ﷺ..."[1].

ختامًا.. إنَّ النبي ﷺ لم يفسّر القرآن الكريم كاملاً، كذلك إن ما نقل عن الصحابة من تفسيرات، لم يكن شيئًا كثيرًا، بل إنه أقل مما نقل عنهم في أمور أخرى كالفقه والفتاوى[2]، وذلك لا يرجع بالطبع لعدم اهتمامهم بالقرآن – معاذ الله – ولا يرجع ذلك لعدم فهمهم لآيات القرآن أو عدم حفظ أكثرهم له وإنما مردّ ذلك إلى قلة الحاجة إلى تفسير نظري لغوي، فهُم كانوا يفسرون القرآن تفسيرًا عمليًا، حسب ما تقتضيه الوقائع والحوادث، وكذا عرفوا بسلامة اللغة وصفاء عقيدتهم.

أما بالنسبة للكلام على حجية تفسير الصحابي فلا بد من الإجابة عن بعض تساؤلات حول هذا الموضوع، أثارها الدكتور فضل عباس في كتابه[3]، وقد تمَّت الإشارة إلى بعضها من

---

[1] التفسير أساسياته واتجاهاته، ص: ١٦٨ – ١٦٩.

[2] إذا كان قول الصحابي – فيما من شأنه أن يدرك بالاجتهاد والنظر – في الأحكام التكليفية مختلف في حجيته ومحل جدل ونظر، فإنه ومن باب أولى أن لا يكون ملزمًا في مجرد قول لتفسير آية قرآنية ما لا يترتب عليها حكمًا شرعيًا معيّنًا؛ انظر: المستصفى من علم الأصول، لأبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، ٢٠٩/١–٢١٠، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/١، ١٩٩٧م؛ وانظر: الموافقات في أصول الشريعة، لأبي اسحق الشاطبي، شرح الشيخ عبد الله دراز، ٣٥٩/٤–٣٦٠، دار الحديث، القاهرة، ط/١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م؛ وانظر: قول الصحابي عن الأصوليين، للدكتور علي جمعة، ص: ٤٠ – ٤٦، دار الرسالة، القاهرة، ط/١، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م؛ وانظر: علم أصول الفقه، لعبد الوهاب خلَّاف، ص: ٩٥، دار القلم، ط/١٠، ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م؛ وانظر: بحث مطول بعنوان (حجية قول الصحابي)، لأبي حازم الكاتب، ملتقى أهل الحديث http://www.ahlalhdeeth.com.

[3] من ذلك هل تفسير الصحابة كله له حكم المرفوع؟ وإذا قلنا ذلك فمعناه إن كان ما روي عن الصحابة رضوان الله عليهم لا مجال فيه للرأي؟ وهذا يوقعنا في إشكالات كثيرة، ولا بد من أن نحتاط للأمر من جهات كثيرة: أولاً: هل ثبتت صحة هذه الرواية عن هذا الصحابي. ثانيًا: هذه القضية المفسرة من الصحابي هل هي مما لا مجال فيها للرأي؟ ثم يضرب لذلك مثلاً حول الروايات الصحيحة الموقوفة على سيدنا ابن عباس ﷺ حول قضية تنزلات القرآن جملة ومتفرقًا، معقبًا عليها بعدد من التساؤلات، أولها: لمَ لمْ ترد رواية مرفوعة في

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قبل، ولكن يمكن القول بناءً على ما سبق: إنْ كان قول الصحابي محمولاً على السماع من النبي ﷺ وثبت ذلك من حيث الصحة فإن ذلك راجع إلى النبي ﷺ وهو الحريّ بأن يسمى أثريًا.

أما ما كان راجعًا إلى فهم الصحابي ورأيه فهو مقدّم على غيره لقيمة تفسير الصحابي وهذا لا يعني أن نقف على حد تفسير الصحابي وأن لا نتعداه إلى ما سواه، فربما يقتضي فهمًا آخرًا للنص يتلاءم معه، وهذا هو المقصد من التفسير أن يكون متوجها إلى أن القرآن كتاب هداية وإعجاز ومنهج حياة، وسيأتي الحديث عن هذا في الفصل الأخير من الرسالة.

يبقى الحديث على ما بقي من التقسيمات الأربعة السابقة التي جُعلت هي التفسير بالمأثور، وقد أخرت هذا القسم – تفسير القرآن بالسنة – لما يحمل من أهمية وتفصيل، ولما يترتب عليه من قضايا ستناقش في الفصل الأخير من الرسالة – إن شاء الله.

المطلب الثالث: تفسير القرآن بالسنة:

هناك خلط عند بعض الذين ألَّفوا في كتب مناهج المفسرين وعلوم القرآن في هذه القضية، حيث عمَّموا فجعلوا تفسير القرآن بالسنة شاملاً للتفسير النبوي للقرآن والتفسير بالحديث النبوي، والذي نريده في هذا القسم هو ما فسره النبي ﷺ؛ وعليه يمكن القول:

أولاً: لعل الأصوب في هذا الأمر أنه لا يجوز أن نجعل التقسيمات الأخرى وتفسير النبي ﷺ في باب واحد، ونطلق عليها مجتمعةً أي – تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير النبي ﷺ، وتفسير الصحابي، وتفسير التابعي – التفسير بالمأثور، وقد بينت هذا انطلاقًا من المعنى

هذا الشأن؟ ثانيها: لمَ لمْ من الرسول ﷺ هذه القضية –على أهميتها– سوى ابن عباس ﷺ؟ وثالثها: لمَ كانت هذه القضية مما لا مجال للشك فيه للاجتهاد؟ أي لمَ لا يكون تفسير تنزلات القرآن في كلٍّ من سورة (القدر: ١، والدخان: ٣، والبقرة: ١٨٥) من فَهْم ابن عباس ﷺ وهو من هو؟ انظر: التفسير أساسياته واتجاهاته، ص: ١٩٤–١٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اللغوي للمأثور، ومفهومه عند السابقين، ومن خلال المناقشة والتطبيق، فشتّان بين كلامه ﷺ وكلام غيره من البشر.

ثانيًا: لا شك أن التفسير النبوي هو أحد الفصول الأساسية لتفسير القرآن الكريم، بعد تفسير القرآن بالقرآن. ولكن لا بد هنا من التمييز بين التفسير النبوي والتفسير بالحديث النبوي؛ أما الأول بمعنى أن ترد رواية تبيّن أن النبي ﷺ هو الذي فسّر، في حين أن الثاني هو ربط بين نصوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، أي أن يوظف الحديث فتجعله تفسيرًا للآية.

ثالثًا: إن التعامل مع الأحاديث النبوية لتفسير النص القرآني عملية اجتهادية، معرضة للخطأ والصواب، تحتاج إلى تحكيم السياق القرآني من جهة، وإدراك المرمى الحديثي من جهة ثانية، وتناسب النصين معًا من جهة ثالثة، وإلا فإن الخطأ قد يصل إلى درجة تمرير – عقيدة، أو شريعة، أو مفهوم، أو فكرة خاطئة – عن آية ما[1].

رابعًا: ينبغي أن يمتاز قول النبي المرسل ﷺ عن قول غيره من البشر، وكما نعلم فإن السنة هي: كل ما ورد عن الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة، فقوله عليه الصلاة والسلام تشريع لنا، وهو كذلك معصوم في أمور التبليغ ومؤيد بالوحي ﷺ، ولما جاء في أحاديث صحيحة تبيّن أن قوله يجب نقله وتبليغه، منها قوله ﷺ: "فَلْيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ فَرُبَّ

[1] وهذا سيأتي الحديث عنه في الفصل الأخير من الرسالة من خلال أمثلة واضحة الخطورة، حتى لو كانت الأحاديث صحيحة أو حسنة، (ومن قضايا الفصل الأخير: تفسير الآية بحديث لا تعلق لها به، وتعارض المأثور مع أصول العقيدة).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ"[1] وقوله ﷺ: "احْفَظُوهُ وَأَخْبِرُوهُ مَنْ وَرَاءَكُمْ"[2]؛ وقوله: "نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا وَحَفِظَهَا وَبَلَّغَهَا فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ"[3].

إذًا فنحن مأمورون بنقل قول نبيّنا ﷺ ووتبليغ ما أثر عنه {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [الحشر:٧]، {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ} لما فيه من الهداية والرشاد، وإن لم يكن كلامه يتعلق بأحكام شرعية أو قضايا عقدية، فكلامه كلّه وسيرته ﷺ منهاج نسير عليه في حياتنا الدينية والدنيوية، {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} [الأحزاب:٢١]؛ ولا يمكن لأحد كائنًا من كان أن يناقش في حجية قول النبي ﷺ حتى لو كان اجتهادًا منه ﷺ في أمور الدين، واجتهاده ﷺ إما تأكيد وتقرير وإما تصويب.

ولا أقصد هنا ما سار عليه كثير من المفسرين والمحدثين الذين ضمنوا مصنفاتهم الحديثية كتباً خاصة في التفسير، على اعتبار أنه نقل ورواية، وكان عملهم ربط معنى الآية بالحديث وذكر ذلك تحت آية من الآيات التي يُعنونِون بها الأبواب، فهذا محض اجتهاد خاص بهم، أو خاص بمن نقلوا عنهم، فَهُمْ أسندوا فهمهم للآية بدليل من السنة وأحاديث الرسول الكريم ﷺ، أو أقوال السلف من الصحابة والتابعين الذين اشتهروا بالتفسير.

---

[1] صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، برقم: ١٦٥٤، ٢/٦٢٠.

[2] صحيح البخاري، كتاب العلم، باب تحريض النبي ﷺ على وفد عبد قيس، برقم: ٨٧، ١/٤٥.

[3] سنن الترمذي، كتاب العلم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، برقم: ٢٦٥٦، ٥/٣٣، قال أبو عيسى: حديث حسن صحيح.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بل المراد هو الأحاديث المرفوعة أو ما لها حكم المرفوع في الروايات التفسيرية المباشرة للنبي ﷺ، الصحيحة لا سواها، فهذا يمكن أن نسميه مأثورًا، لا يمكن ولا يجوز تجاوزه، وهذا بالطبع أضبط وأحوط لا تناقض فيه.

من أشكال التفسير النبوي:

- الاستدلال بالآية على القول، كما فعل بتفسير قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا}، [البقرة:١٤٣] فقال: والوسط العدل[1]؛ وقوله: {لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا}، [البقرة:٢٧٣][2]؛ وقوله: {وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ}، [آل عمران:١٨٠][3].
- ذكر الآية ثم بيان معناها، ومنه تفسيره ﷺ لقوله تعالى: {وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا}، [البقرة:٥٨] ولقوله تعالى: {إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا}، [الشمس:١٢][4] وتفسيره لقوله: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ}، [الأنفال:٦٠] القوة بالرمي[5].

---

[1] صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب سورة البقرة، برقم: ٤٢١٧، ١٦٣٢/٤.

[2] صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب لا يسألون الناس إلحافًا، والحديث (ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان ولا اللقمة ولا اللقمتان إنما المسكين الذي يتعفف، واقرءوا إن شئتم يعني قوله: {لا يسألون الناس إلحافًا}، برقم: ٤٢٦٥، ١٦٥١/٤.

[3] صحيح البخاري، كتاب التفسير، والحديث (من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له مالُه شجاعًا أقرع له زبيبتان يُطَوقُه يوم القيامة يأخذ بِلِهْزِمَتَيْه يعني بشدْقَيْه، يقول: أنا مالك أنا كنزك) ثم تلا هذه الآية {ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله}، برقم: ٤٢٨٩، ١٦٦٣/٤.

[4] صحيح البخاري، كتاب التفسير، والحديث (انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في رهطه مثل أبي زمعة)، برقم: ٤٦٥٨، ١٨٨٨/٤.

[5] صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثم نسيه، ولفظه: عن أبي علي ثمامة بن شفي أنه سمع عقبة بن عامر ﷺ يقول: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا أن القوة الرمي ألا أن القوة الرمي ألا أن القوة الرمي) برقم: ١٩١٧، ١٥٢٢/٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- حل إشكال أو إجابة سؤال حول آية، فقد يشكل على الصحابة فهم آية فيبينها لهم، كتفسيره ﷺ للظلم بالشرك[١]، والخيط الأبيض والخيط الأسود بالليل والنهار[٢]، وبيانه ﷺ لعائشة بالحساب المهلِك[٣].

إنَّ تفسير القرآن بالحديث الشريف إنما هو استدلال عقلي على معنى الآية يقوم به المفسر وليس النبي ﷺ؛ أما التقسيمات الأخرى للتفسير الأثري فيمكن الاعتراض عليها باعتبارات عديدة، فيبقى الأمر فيه إشكال في التقسيم، ويبقى غير منضبط؛ والله أعلم.١

المطلب الرابع: تفسير القرآن باللغة والقواعد العربية

إن اللغة شرط لا بد منه لكل من أراد أن يفسر القرآن الكريم، وكما هو معلوم عند أهل التفسير " كل ما لا يجوز لغة لا يجوز تفسيرًا"[٤]، وهل يكون التفسير مقبولاً إن لم يكن بحسب ما تدل عليه اللغة العربية واستعمالاتها وضمن ضوابطها وقواعدها وأساليبها بما يناسب بلاغة القرآن المعجز، وقد نزل {بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} [الشعراء:١٩٥]! ولكن ليس هذا ما قصدت، فإن اللغة من الناحية النحوية موروثة مأثورة عن السابقين ولا مجال للرأي فيها، ومن ناحية معاني الألفاظ والمفردات كذلك، وهذا ليس على الإطلاق ولكن في بعض الألفاظ.

وكما يذكر ابن الوزير: "إنه لا يُقطع بصحة أن اتصال الرواية الصحيحة بأهل اللغة متعذر، إلا أن الأمة أجمعت على أنه لا يجب الإسناد في علم اللغة فإنهم ما زالوا ينقلون اللغة

---

[1] سبق تخريجه. ص٣٦ من الرسالة

[2] سبق تخريجه. ص ٣٦ – ٣٧ من الرسالة

[3] صحيح البخاري، كتاب التفسير، بَاب {فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا}، ولفظه: عن عائشة رضي الله عنها: عن النبي ﷺ قال: (من نوقش الحساب عذب). قالت: قلت: أليس يقول الله تعالى: {فسوف يحاسب حسابا يسيرًا}. قال: (ذلك العرض). برقم: ٦١٧١، ٥/٢٣٩٤.

[4] التفسير أساسياته واتجاهاته، ص: ٢١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عن أئمتها من غير مطالبة لأئمتها بالإسناد إلى العرب، فإذا جاز قبول المرسل من أئمة العربية في ذلك الزمان جاز قبوله عنهم في هذا الزمان لأن الأزمان لا تأثير لها في وجوب الواجبات وقبح المقبحات".[١]

بينما من الناحية البلاغية وما يتبعها من استنباطات أسرار التراكيب اللغوية، فهي بلا شك ملكة عظيمة لا تتأتى إلا لأصحاب النظر الثاقب والاجتهاد العميق، وإلا كيف أدرك العرب سرّ بلاغة القرآن وإعجازه، والقرآن نزل على لغتهم؛ إذًا.. إن مسألة المأثور لا تنطبق على اللغة – فلا أحد يناقش في مسائل النحو – إنما اللغة هنا هي ما جاء في وضع اللسان، والقدرة على الإتيان بمعاني أخرى للكلمة والنص عمومًا، والوقوف على مظاهر الإعجاز، ومن هنا فإن التفسير باللغة اجتهاد ورأي لا من جهة أنها تثبت بالرأي، وإنما من جهة تحديد كون ذلك المعنى هو المراد بالآية أو اللفظ المعيّن من القرآن[٢].

وحول هذا يقول الدكتور خالد السبت: "وأما اللغة فالاجتهاد يقع في التفسير بمفرداتها وتراكيبها، إضافة إلى ما يحتاجه المفسر من الاستعانة بالقواعد المقررة فيها وقد لا تكون مسلمة"[٣].

قال: ابن عاشور في مقدمة تفسيره: إنه لما كانت أوضاع اللغة وضعية، فلا بأس على الدخيل في علم المعاني، أن يقلد صاحبه في بعض فتاواه إلى أن يتكامل له على مهل

---

[1] العواصم والقواصم، لابن الوزير، محمد بن إبراهيم اليماني (ت٨٤٠)، ٤١٩/١ – ٤٢٢، تحقيق شعيب الأرنؤوط، دار البشير، عمّان، ط/١، ١٩٨٥م؛ وانظر: بحث بعنوان "قواعد التفسير عند ابن الوزير"، قدمه الدكتور محمد خازر المجالي، مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، المجلد ٢٧، العدد ٢، ٢٠٠٠م، ص: ٥٣٨، العواصم والقواصم، لابن الوزير، ٤١٩/١ – ٤٢٢.

[2] المقدمات الأساسية في علوم القرآن، عبد الله الجديع، ص: ٣٥٣.

[3] قواعد التفسير جمعًا ودراسة، ١٠٧/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

موجبات ذلك الذوق. ولذلك – لإيجاد الذوق – فلا غنى في بعض المواضع من الاستشهاد على المراد في الآية بكلام العرب شعرًا أو نثرًا، لتكميل ما عند المشتغل بالتفسير أو لإقناع السامع[١].

ويقول القرضاوي: "إن في الألفاظ ما جاء على سبيل المجاز، ومنها ما هو مشترك، يدل على أكثر من معنى...إلخ؛ واختيار أحد المعنيين أو المعاني يحتاج إلى دقة بالنسبة لكلام الله العزيز"[٢]؛ وهذا بالطبع يعود إلى الرأي والنظر والاجتهاد وإن كانت المعاني لهذه الألفاظ مأثورة، ولأن الرأي معناه: (اعتقاد النفس أحد النقيضين، عن غلبة الظنّ)، والرأي يستعمل في الاعتقاد والتفكير والنظر والتأمل[٣].

وفي هذا السياق يقول الدكتور عبد الله الجديع: "واستعمال اللغة في تفسير القرآن أخطر ما يسلكه المفسر، فهو إذا فسّر الآية بنفس القرآن أو الحديث أو الأثر، فإنه وإن كان يستعمل رأيه في تتبع النص والأثر والربط له بالآية وتوجيه ذلك، إلا أنه قد أحال واعتمد في غالب أمره على النقل، بينما اللغة بما وقع فيها من السعة واحتمال المعاني الكثيرة المختلفة للفظ الواحد، مع تنوع الأساليب في تركيب الكلام، لا يسهل تنزيلها على ألفاظ القرآن وتراكيبه دون أصل يرتكز عليه المفسر"[٤].

ويمثل على جملة ما ذُكر العلامة ابن الوزير في كتابه "إيثار الحق" وهو: تفسير كلمة {عَسْعَسَ} [التكوير:١٧] بـ "أدبر".. لأن {عسعس} مشترك بين إقبال الليل وإدباره؛ وبناء

---

[1] انظر: المقدمة الثانية في التحرير والتنوير، استمداد علم التفسير، ٢١/١.

[2] انظر المرجعية العليا في الإسلام للقرآن والسنة (ضوابط ومحاذير في الفهم والتفسير)، للعلامة الدكتور يوسف القرضاوي، ص: ٥٦، مكتبة وهبة، القاهرة، ط/١٤١٣هـ – ١٩٩٢م؛ وانظر بحث "قواعد التفسير عند ابن الوزير"، ص: ٥٣٧.

[3] المعجم الوسيط، ص: ٣٢٠، أحمد حسن الزيات، مجمع اللغة العربية في القاهرة.

[4] المقدمات الأساسية في علوم القرآن، ص: ٣٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على ذلك فقد فطن ابن الوزير لأمور، **أحدها:** لا يجوز التفسير بكلا المعنيين؛ **وثانيها:** معرفة ما يظنّ أنه حقيقة وهو مجاز، فإذا عرفت حقيقة الكلمة ومجازها لم يفسر بهما معًا أيضًا، على اختلاف في المسألة عند العلماء في بعض الألفاظ؛ **وثالثها:** الفرق بين دلالة المطابقة، والتضمن، والالتزام.

فالمطابقة هي: اللغوية، دونهما، وهي دلالة اللفظ على معناه الموضوع له، كدلالة غسل أعضاء الوضوء عليها جميعًا.

وإن دلّ اللفظ على جزء المعنى فهو **التضمن**، كدلالة آية الوضوء على غسل العين، لأنها بعض الوجه، وما تحت الأظفار والخاتم: لأنه بعض اليد.

وإن دلّ اللفظ على لازم ما وضع له، فدلالة **الالتزام**، كدلالة آية الوضوء على وجوبه، وهما عقليتان، فيقدم عليهما ما عارضهما، مما هو أرجح منهما من الدلائل اللفظية على حسب القوة. ألا تراهم رجَّحوا دلائل رفع العسر والحرج على دلالة غسل العين من الوجه؟ وكذلك اختلفوا فيما تحت الإظفار والخاتم لذلك"[1].

وفي بحث من مجلة الشريعة على شبكة الإنترنت بعنوان (تفسير القرآن بين الرواية والدراية)، يذكر الكاتب أحمد عبد العزيز الأنصاري: أنه لما انتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى وكان الأمر في البيان يرد إلى ما أثر عنه ﷺ في ذلك، وإلى اجتهادات الصحابة الذين عايشوا التنزيل وأحاطوا بأسباب نزوله، برز من بين هؤلاء الصحب في هذا الميدان: عبد الله

[1] إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذاهب الحق من أصول التوحيد، لابن الوزير، أبي عبد الله محمد بن المرتضى اليماني، (٧٧٥ – ٨٤٠هـ)، ص: ١٣٥ – ١٤٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م؛ ونقلها مختصرة القرضاوي في كتابيه، المرجعية العليا، ص: ٥٦ – ص: ٥٩؛ كيف نتعامل مع القرآن، ص: ٢١٨ – ص: ٢١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بن عباس – رضي الله تعالى عنهما – فكانت أغلب جهوده منصرفة إلى هذا الجانب، وأعانه على هذا ما كان له من علم استقاه من الرسول ﷺ، ومن كبار الصحابة، بالإضافة إلى معرفته الواسعة بأحوال العرب ولغتهم، وأخبار أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فكان ابن عباس ﷺ أول من خطا بالتفسير من دائرة المأثورات وحدها إلى دائرة الاستعانة بلسان العرب فيما لم تتعرض له المأثورات، خلال القرن الأول[1].

ويتابع الكاتب: ولا يفهم من هذا أن استخدام عنصر اللغة لم يكن قائمًا قبل ابن عباس ﷺ، فالقرآن الكريم عربي اللفظ والعبارة، وإن كان عالمي العقيدة والشريعة، والله تبارك وتعالى يرسل كل رسول بلسان قومه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [الرعد:٤]، وقد استعان الناس – من وقت نزول القرآن – باللغة العربية لفهم عبارته، إلا أن ابن عباس ﷺ كان قويًا في هذا الاتجاه، وقد كان الدافع لهذا حاجة الناس للتفسير في عصر ابن عباس ﷺ الذي كثر فيه المسلمون الجدد، وأيضًا لضعف اللغة العربية وبعد مستواها عن لغة القرآن، ويعد هذا – بلا شك – إضافة جديدة إلى التفسير على مقتضى المأثورات، فكان هذا الاتجاه في التفسير الأثري النظري، الذي مهّد لظهور المنهج الجامع في التفسير بين الرواية والدراية، ولا سيما في القرنين الثاني والثالث الهجريين على يد جماعة من علماء التفسير...[2]

أما بالنسبة لنا نحن فإن كلام العرب يمثّل لنا أساسًا مهمًّا من أسس فهم الكتاب؛ وإذا نزل القرآن الكريم بلغة العرب، فإن معرفة جوانبه – لغةً وصرفًا ونحوًا وبلاغةً – لا تتم إلا

---

[1] انظر: تفسير القرآن بين الرواية والدراية (أثر منهج بن عباس ﷺ في الاتجاهات اللغوية والبلاغية) لأحمد عبد العزيز الأنصاري gwww.quranway.net؛ مجلة الشريعة http://www.sharialslamic.com؛ وانظر نحو ذلك التفسير ورجاله، لمحمد الفاضل بن عاشور، ص: ٢٨، دار الكتب الشرقية، تونس، ط/٢، ١٩٧٢م.

[2] انظر: بحث (تفسير القرآن بين الرواية والدراية)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالرجوع إلى كلام العرب، وتبين خصائصه ومناهجه في التأليف والتعبير، والتفسير باللغة في الوقت نفسه يحتاج إلى اجتهاد ونظر واستنباط.

المطلب الخامس: التفسير بالقراءات

ليس من غرض هذه الدراسة مناقشة مسألة القراءات والضابط المعتمد في قبولها عند العلماء، وقد بيّنه العلماء على اختلاف بينهم – ليس هذا محل تفصيله – وسيتبنى الباحث هنا قول الأستاذ فضل حسن عباس بأن ضابط القراءة قبولاً ورداً هو التواتر[١]؛ أما ما أورده ابن الجزري حول شروط القراءة الصحيحة وأنواعها[٢] ومعايير قبولها[٣]، فليس هو محل البحث والدراسة.

إنما محل النقاش هنا حول عدّ التفسير بالقراءات من التفسير بالمأثور أم لا؟ ولم أقصد هنا مناقشة الرواية الصحيحة وعدّها من القرآن أوْ لا، – وإن كان هذا لا يتفق مع مفهوم القرآن الذي يقتضي التواتر، أما الذي أريده بالقراءات هنا ما تواتر إسناده عند علمائنا، والذي هو بطبيعة الحال قرآن[٤].

وفي هذا الصدد يمكن القول: إنه إن كان تفسير القرآن بالقراءات تفسيرًا للقرآن بالقرآن، –وهو الذي تم الحديث عنه في بداية هذا الفصل– هو محض اجتهاد ورأي كما تبيّن، فإنّ

---

[1] انظر: إتقان البرهان في علوم القرآن، ١٦٩/٢ – ١٧٣.

[2] انظر: النشر في القراءات العشر، ١٥/١، للإمام أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري، تقديم الأستاذ علي محمد الضباع، وخرج آياته الشيخ زكريا عميرات، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/٢، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م؛ وانظر: مناهل العرفان، ص: ٣٠١ –٣٠٢.

[3] معايير القبول والرد لتفسير النص القرآني، ص: ٥٨٨، للدكتور عبد القادر محمد الحسين، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، ط/١، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨م.

[4] انظر: إتقان البرهان في علوم القرآن، ١٤٠/٢ –١٤١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحال هنا لا يختلف، لأن هذه القراءات المتواترة أو الصحيحة قرآن – عند من عدّ الصحيحة قرآنًا – وعند إحالة قراءة على قراءة بقصد تفسيرها، فهو رأي واجتهاد لا تفسير بالمأثور، فالمفسر أسند فهمه للآية بدليل من القرآن نفسه.

وفي هذا يقول ابن عاشور: "وأما القراءات: فتفيد في الاستدلال بالقراءة على تفسير غيرها، ترجيحًا لأحد المعاني، كالشاهد من كلام العرب، فإنها إما مشهور فهي حجة لغوية، أو شاذة فالاحتجاج بها أنه ما قرأ بها إلا لاستنادها إلى استعمال عربي صحيح، إذ لا يكون القارئ معتدًا به إلا إذا عرفت سلامة عربيته"[1].

أما إن وُجد دليلٌ صحيحٌ صريحٌ أن قراءة جاءت تفسر أخرى فيكون الأمر مختلفًا، لثبوت الأثر ودلالته الصريحة؛ لكن الذين اعتمدوا مفهوم التفسير المأثور، نجدهم لا يعدّون عند الحديث عن التفسير –مفهومه وأقسامه– التفسير بالقراءة قسمًا مستقلاً، أو تابعًا لتفسير القرآن بالقرآن، بل هي ليست مشمولة ضمن مفهوم التفسير المأثور.

أثر القراءة في التفسير:

قد أدرك المفسرون قديمًا وحديثًا أثر القراءات في بيان معان جديدة للآيات القرآنية، ونستطيع أن نقرر في ضوء ذلك أن من حكَم وجود القراءات إثراء المعاني اللغوية إضافة إلى الحكَم أخرى، فيكون للقراءات أثرها الكبير في تنوّع المعنى[2].

---

[1] المقدمة الثانية في التحرير والتنوير، استمداد علم التفسير، ٢٥/١.

[2] انظر: الميسر في القراءات الأربع عشر، المقدمة (ز) المبحث الأول، في مبادئ علم القراءات، تأليف محمد فهد خاروف، مراجعة محمد كريّم راجح، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط/٤، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م؛ وانظر: المقدمات الأساسية في علوم القرآن، ص: ١٨٩ – ١٩٠؛ وانظر: الوجوه البلاغية في توجيه القراءات

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالقراءات في الغالب تعطي أكثر من معنى، فكأنها إعجاز في الإيجاز، فالكلمة تُرسم بشكل ما، ولكنها تُقرأ على أكثر من وجه (أحيانًا)، وبذلك يتنوع الإعراب أو المعنى، ويتغير معنى السياق، فهنا الإثراء يكون واضحًا؛ فالقراءات من حيث هي قراءات هذا أمر لا اجتهاد فيه، ولكن يكون الاجتهاد والرأي في المقارنة، والبحث عن المعاني الدقيقة في الفرق بين القراءات، والوقوف على مظاهر الإعجاز والهداية العامة، ونظرًا لعظم الموضوع وتشعبه يمكن الاقتصار على نماذج من أثر القراءات في التفسير تتناول الأمثلة الآتية:

* (مالك، ملك)[1]، ليس الحديث هنا عن المفاضلة بين قراءة وأخرى وكلها وردت عن النبي ﷺ متواترة وكل منها تؤدي المعنى المطلوب في سياقها، فمن حيث المعنى لا تضاد بين المعنيين لكلا اللفظين, فلكل منهما وجه في المعنى ينفرد به عن الآخر, لكنهما لا يتضادان. فمن قرأ مالك قال إن هذه الصفة أمدح لأنه لا يكون مالكًا للشيء إلا وهو يملكه وقد يكون مَلِكًا للشيء ولا يملكه كما يقال: ملِك العرب وملِك الروم وإن كان لا يملكهم، وقد يدخل في المالك ما لا يصح دخوله في الملِك يقال: فلان مالك الدراهم ولا يقال ملِك الدراهم، فالوصف بالمالك أعم من الوصف بالملك[2]. هذا بقطع النظر أن الكلمتين مضافتين إلى يوم الدين.

كما يشير ابن عاشور بقوله: "وقد تصدى المفسرون والمحتجون للقراءات لبيان ما في كل من قراءة (ملِك) و(مالِك) من خصوصيات بحسب قَصْر النظر على مفهوم كلمة ملِك ومفهوم

المتواترة، ص: ١٣٥- ١٤٢، الدكتور محمد أحمد الجمل، دار الفرقان، عمّان، ط/١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، حيث تحدث بإسهاب عن فوائد تعدد القراءات.

[1] من سورة الفاتحة، قرأ عاصم والكسائي ويعقوب وخلف بإثبات الألف بعد الميم لفظًا، والباقون بحذفها، انظر: الميسر، ص: ١؛ وانظر: البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، للقاضي عبد الفتاح، ص: ١٥، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

[2] انظر: تفسير البغوي، ٥٣/١؛ انظر: تفسير الرازي، ٢١٢/١ - ٢١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كلمة مالِك، وغفلوا عن إضافة الكلمة إلى يوم الدين، فأما والكلمة مضافة إلى يوم الدين فقد استويا في إفادة أنه المتصرف في شؤون ذلك اليوم دون شبهة مشارك. ولا محيصَ عن اعتبار التوسع في إضافة ملِك أو مالِك إلى (يوم) بتأويل شؤون يوم الدين"[١].

والخلاصة أننا لا نقول هنا إن هذه القراءة فسّرت تلك، فليس في واحدة إشكال يحتاج إلى إيضاح من الأخرى، ولكن هو إثراء للمعنى تبيّن من خلال النظر والمقارنة، فالله سبحانه هو (ملك) يوم الدين أي سيده وحاكمه، وهو (مالك) يوم الدين، فهو له، ومن مَلَكَ فله حق التصرف فيه وحده، ولنا أن نتخيل ظلال المعنيين وفقًا للقراءتين.

* (يَطْهُرْنَ، ويَطَّهَّرْنَ)[٢]، ففي الأولى إجمال في احتمال أن تكون طهارتهن بمجرد انقطاع الدم، وفي الثانية إبانة عن كون ذلك باغتسالهن بعد انقطاع الدم[٣].

فهذا توسع في المعنى وإثراء له، تبيّن من خلال نظر المفسرين والفقهاء، ولو كانت هنالك رواية صحيحة صريحة تبيّن أن إحدى هاتين القراءتين جاءت لتفسّر الأخرى، لما وجدنا ذلك الخلاف بين السادة المفسرين والفقهاء أصحاب المذاهب الأربعة رضوان الله عليهم، وهذا الخلاف ناتج عن النظر والفهم والمقارنة؛ وبالتالي لا يعدو تفسير القرآن بالقراءات إلا أن يكون تفسير للقرآن بالقرآن، وهو داخل ضمن دائرة التفسير بالرأي كما تبيّن سابقًا، والله أعلم.

---

[1] التحرير والتنوير، ١/١٧٥.

[2] من سورة البقرة (٢٢٢)، قرأ شعبة وحمزة والكسائي وخلف "يطّهّرن" بالتشديد، وقرأ الباقون "يطهرن" بالتخفيف، (الميسر في القراءات الأربع عشر، ص: ٣٥).

[3] للاطلاع على المثال بتفصيل، ينظر: (معايير القبول والرد لتفسير النص القرآني، ص: ٥٨٩ – ٥٩١)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي نهاية الحديث عن موضوع القراءات والذي قَصَرْتُ الحديث فيه عن المتواتر منها، فتبيّن أنها لا تعدو إلا أن تكون تفسيرًا للقرآن بالقرآن، فأودّ الإشارة إلى أن الأقسام الأخرى لمفهوم التفسير بالمأثور[١] قد تكون داخلة ضمن ما يسمى **بالقراءات الشاذة**، والتي ينتج عنها ويحصل بسببها علوم وتوجيهات وتفسيرات، ما كانت لتوجد إلا بوجود تلك القراءات، فوجودها أحدث أثرًا في التفسير والأحكام الشرعية واللغة العربية.[٢]

خلاصة القول: حدود التفسير الأثري

تبين من خلال بحث مفهوم التفسير المأثور عدد من النقاط منها:

١. أن تفسير القرآن بالقرآن لا يعد مأثورًا حتى يثبت فيه النقل عن رسول الله ﷺ، بل هو داخل ضمن اجتهاد المفسر، فكل من فسر آية بآية فإن هذا التفسير ينسب إليه، فاعتماد بعض القرآن في تفسير بعضه الآخر هو اجتهاد من المفسر في الربط بين الآيات، فإن كان ظاهرًا في النص نفسه فهو واضح لا يحتاج إلى تفسير، وإن كان بين نصين في مكانين وتم الربط بينهما فهي عملية تفسيرية قد ترجع إلى السنّة أو إلى من قام بهذا الربط من الصحابة أو من بعدهم، وبذلك يكون تفسير القرآن بالقرآن هو أداة في التفسير وليس مصدرًا مأثورًا[٣].

---

[1] أي المفهوم الشائع له، وأقصد بالأقسام (تفسير القرآن بالسنة، وقول الصحابي) انظر المسألة بتفصيل في كتاب معايير القبول والرد لتفسير النص القرآني، ص: ٥٩٢ – ٥٩٦.

[2] انظر: بحث بعنوان (أثر القراءات الشاذة في علم التفسير) على الملتقى المغربي للقرآن الكريم، قسم ملتقى القراءات الشاذة، http://www.maroc-quran.com' والبحث لكاتبة على الأرجح من خلال التعليقات ولم أجد اسمها؛ وانظر: بحث بعنوان (القراءات الشاذة وأثرها في التفسير) للدكتور عبد الله بن حماد القرشي، موقع الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بالطائف، http://www.comqt.org؛ انظر: الميسر في القراءات الأربع عشر، محمد فهد الخاروف، محمد كريِّم راجح، مرتب وفق مصحف المدينة المنورة.

[3] يستثنى من ما ذكر ما أشرت إليه سابقًا عند الحديث عن مصطلح التفسير بالمأثور، وهو ما يسمى عند بعض العلماء "بالمنطوق الصريح" في تفسير القرآن بالقرآن، وهنا يُتساءل.. عندما يقول ربنا تبارك وتعالى: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢. كما أنه يستثنى تفسير الصحابي والتابعي من دائرة المأثور بوصفه اجتهاد من الصحابي أو التابعي، مع خلاف ما جاء في كتب علماء القرآن مِنْ عدّهِ مأثورًا، ولو زخرت كتب التفسير بهذه الروايات تحت مسمى التفسير بالمأثور؛ باستثناء ما ورد عن الصحابة في سبب النزول أو مما لا يجوز الاجتهاد فيه.

خيرية القرون الثلاثة الأولى وعلاقتها بالمسألة:

وهنا لا بد من التفريق بين قضية علمية تتصل بالقرآن الكريم من جهة، وبين مسألة خيرية قرن الصحابة الواردة في حديث البخاري: (خير القرون قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)[1] إذ لا تعارض بين الأمرين لأن ما ورد عن الصحابة والتابعين تبقى له مكانة خاصة عند المسلمين في فهم الكتاب كما مر سابقًا، إلا أنه لا يعد في دائرة المأثور فقط.

الموقف من أقسام التفسير بالمأثور:

بعد إعطاء هذه الأقسام التوصيف المناسب لها، يبقى بيان الموقف منها، وحول هذا يقول عبد الرحمن حللي: "أما قضية الموقف من المأثور فهي قضية أعمق من أن يعمم الحكم فيها على قبول هذا النمط أو عدمه، فبالتالي ينبغي ألا يعمم الحكم بتفضيل التفسير المأثور، إنما يرتبط ذلك بحسب الأثر لجهة صحته وقائله، وتناسبه مع النص المفسر، وإذا كان الأمر كذلك فإن اصطلاح التفسير بالمأثور إنما هو تصنيف شكلي لنمط من أنماط التأليف في علم التفسير، وبديهي أن يقال إنه ينبغي على المفسر أن يبدأ به، لكن ذلك لا يعني أن ينتهي إليه،

الْمُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} [الفاتحة: ٦-٧]، هل الآية السابعة فسرت الآية السادسة، أو قصدت تفسيرها؟! وعندما يقول تعالى: {وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ، النَّجْمُ الثَّاقِبُ} [الطارق:١-٣] هل النجم الثاقب تفسير للقرآن بالقرآن، أو هل قصدت هذه الآية الثالثة تفسير "الطارق" في الآية الأولى والثانية؟! أم أنه أسلوب من أساليب القرآن المتعددة؟ على كل حال فإن هذا مستثنى عند الكلام عن تفسير القرآن بالقرآن.

[1] صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ﷺ عنهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، برقم: ٢٥٣٣، ١٩٦٢/٤؛ وانظر: التفسير أساسياته واتجاهاته، ص: ١٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالبداية به من باب التأريخ العلمي للتفسير ونسبة القول إلى أول قائل به، لكن المفسر قد يصل إلى خلافه – مع ضوابط – بناء على معطيات علمية ترتبط بأصول التفسير وقواعده"[١].

إلا أن ما عدّه العلماء من تقسيمات للتفسير بالمأثور –باستثناء التفسير النبوي– وإمكانية قبوله وردّه، فإنه في الغالب مقبول، لقربه من زمن النزول، ولما تمتع به ذلك الجيل أولاً: من صفاء السريرة ونقاء الذهن، ثانيًا: فصاحة العربية، وثالثًا: لما يمتاز به تفسيرهم من واقعية وعملية، حيث قصدوا في تفسيرهم ما يعين على تطبيق الآية بعيدًا عن التكلف في اللغة والنحو والاستنباطات المتعددة.

وما نسب إلى النبي ﷺ من تفسير إنما يخضع لقواعد النقد سندًا ومتنًا كما هو معلوم في علم المصطلح، وفي حال الصحة يخضع ربط السنّة بالقرآن إلى الاجتهاد أيضًا ما لم يكن النص صريحًا؛ وكذلك الشأن بالنسبة إلى ما ورد عن الصحابة، فبعد صحة النسبة قد يكون القسم الأكبر منه من قبيل اجتهادهم ﷺ في التفسير، ومن باب أولى أن يقال ما ذكر في شأن التابعي.

ومن هنا فإنّ القدر المجزوم بصحته من تفسير القرآن بالقرآن خصوصًا، ومن التفسير على وجه العموم، هو الصادر عن رسول الله ﷺ، أما ما عداه، فتعددت مواقف الدارسين منه، بين مانع ومجيز ومتوسط بينهما[٢].

وختامًا.. يبقى لأقوال الصحابة في التفسير، وأقوال التابعين كذلك، قيمته العلمية، ويمكن الإشارة إليها ولو بشكل موجز:

---

[1] «التفسير المأثور»: الاصطلاح والمشكلات، عبد الرحمن حللي.

[2] انظر بتفصيل: (تفسير القرآن بالقرآن: دراسة في المفهوم والمنهج) أ. سعاد كوريم".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولاً: قيمتها من حيث نسبتها إلى زمان وجيل قريب العهد من زمن النبي الكريم ﷺ.

ثانيًا: أنها تعكس لنا صورة الحالة الثقافية والاجتماعية التي كان عليها المجتمع المسلم في تلك الأزمان.

ثالثًا: تظهر لنا عملية التطور الواقعة مع التفسير، وحاجات الناس وتغيرها من زمان إلى آخر ومن بيئة إلى أخرى.

رابعًا: تعكس الحالة الفكرية السجالية التي كانت قائمة بفعل ظهور المذاهب والفرق المتعددة.

إنه لا غنى لنا عن التفسير المأثور ولو كان –باصطلاح العلماء السائد– ولكن على أن لا تحصر دلالة الآية به، فهذا القرآن لا تنقضي عجائبه ولا تنقطع أسراره، {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} [ص:٢٩]؛ ومع ذلك يظل يكتنف التفسير المأثور مشكلات جعلت المتقدمين يقللون من أهميته وما صح منه، نظرًا إلى ما طرأ عليه من ضعف في رواية التفسير المأثور ترجع إلى كثرة الوضع في التفسير، وقد تطرأ إشكاليات عدةّ على هذا النوع من أنواع التفسير، فلو عولجت هذه الإشكالات لارتقت بعض التفاسير مستويات أعلى مما هي عليه الآن.

وفي الفصل القادم سيتم الحديث عن هذه المشكلات وإبرازها، بإذن الله.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

إشكاليات منهج التفسير الأثري من حيث السند

وفيه مبحثان:

* **المبحث الأول:** الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها في قيمة التفسير الأثري. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: خطورة الروايات الضعيفة في التفسير

المطلب الثاني: الوضع في التفسير

* **المبحث الثاني:** الإسرائيليات وأثرها على قيمة التفسير الأثري وجدواه. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المقصود بالإسرائيليات وكيف تسربت

المطلب الثاني: مواقف العلماء من الإسرائيليات وحكم روايتها

المطلب الثالث: خطر الإسرائيليات

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الأول: الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها في قيمة التفسير الأثري

على الرغم من أهمية السنة في تفسير القرآن، إلا أنه على المفسر أن ينظر في صحة ما يذكر في السنة، إذ السنة قد دخلها ما دخلها من الضعف والوضع، ناهيك عمّا أخِذ عن بني إسرائيل وألصق بالسنة؛ وإن هذه الإشكالية تشتد أكثر عند الحديث عن الرواية عن الصحابة والتابعين كونها الأكثر، وإن التفاسير التي صنفت على أنها من التفسير المأثور تناولت مرويات الصحابة والتابعين بكثرة، فاختلط الصحيح بغيره، مما جعل التفسير بالمأثور معرضًا غالبًا للنقد الشديد[1].

ومن هنا دبّ الشذوذ لأقوال في التفسير كان عمدتها أحاديث لم تثبت عن النبي ﷺ، وآثار لم تثبت عن السلف الصالح من صحابة وتابعين، وهذا مما شمله مصطلح التفسير المأثور عند كثير من المفسرين السلف والمعاصرين على حد سواء، **وهو وإن تمت مناقشته في مبحث المفهوم، إلا أن الكلام هنا بناء على ما استقر عليه الأمر عندهم.**

إنَّ من الأمثلة على ذلك قوله تعالى: { وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا} [الأحزاب:٣٧].

---

[1] انظر: مباحث في علوم القرآن، للدكتور صبحي الصالح، ص: ٢٩١، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط/١٦، ١٩٨٥م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تناقل كثير من المفسرين آثارًا عن النبي صلى ﷺ، حول سبب زواجه بزينب –رضي الله عنها– وفي المراد بهذا الذي أخفاه النبي ﷺ في نفسه.

ويذكرون في هذا أن النبي ﷺ أتى بيت زيد بن حارثة ﷺ يطلبه وكان زيد خارجًا، فأبصر زينب بنت جحش قائمة في درع وخمار، وكانت من أتم نساء قريش، فأعجب بها النبي ﷺ ووقعت في نفسه، فأعرض عنها، وانصرف، وهو يهمهم بشيء لا يكاد يفهم منه إلا سبحان مقلب القلوب[1].

وذكر ابن جرير بسنده عن قتادة أنه قال: "كان يخفي في نفسه وِدَّ أنّه طلقها". وبسنده عن عبد الرحمن بن زيد: "كان النبي ﷺ قد زوج زيد بن حارثة زينب بنت جحش، ابنة عمته، فخرج رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم يومًا يريده وعلى الباب ستر من شعر، فرفعت الريح الستر فانكشف، وهي في حجرتها حاسرة، فوقع إعجابها في قلب النبي ﷺ، فلما وقع ذلك كرِّهت إلى الآخر، فجاء فقال: يا رسول الله إني أريد أن أفارق صاحبتي، قال: ما ذاك، أرابك منها شيء؟ "قال: لا والله ما رابني منها شيء يا رسول الله، ولا رأيت إلا خيرًا، فقال له رسول الله ﷺ: أمسك عليك زوجك واتق الله، فذلك قول الله تعالى: (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ) تخفي في نفسك إن فارقها تزوجتها[2]. ونحو ذلك نجدها عند الزمخشري[3]، والرازي[4]، وغيرهما.

---

[1] ينظر في ذلك: معالم التنزيل للبغوي، ٣٥٤/٦؛ وينظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد، ١٠١/٨، دار صادر، بيروت؛ تاريخ ابن جرير، ٤٣/٣، دار سويدان، بيروت – لبنان.

[2] ينظر: تفسير الطبري: ٢٧٤/٢٠.

[3] انظر: تفسير الزمخشري، ٥٥١/٣ – ٥٥٢.

[4] مفاتح الغيب، ١٨٧/٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنَّ في هذه الروايات في مجموعها علاوة على أنها مما يطعن في مقام النبوة ولا يليق في جناب النبي محمد ﷺ، فإنها من حيث الإسناد مشكلة ولا يصح منها شيء، كما بين ابن القيم رحمه الله[١].

وكذا قال ابن العربي المالكي[٢]: "وهذه الروايات كلّها ساقطة الأسانيد، فأمّا قولهم إنّ النبي ﷺ رآها فوقعت في قلبه فباطل"[٣].

كما أحسن ابن كثير في موقفه تعليقًا على تفسير هذه الآية "ذكر ابن جرير، وابن أبي حاتم ههنا آثارًا عن بعض السلف –رضي الله عنهم– أحببنا أن نضرب عنها صفحًا لعدم صحتها فلا نوردها"[٤].

أما ابن حجر فبعد أن ذكر بعض الروايات في المسألة قال: "ووردت آثار أخرى أخرجها ابن أبي حاتم والطبري ونقلها كثير من المفسرين لا ينبغي التشاغل بها؛ والحاصل أن الذي كان يخفيه النبي ﷺ هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته، والذي كان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس تزوج امرأة ابنه، وأراد الله إبطال ما كان أهل الجاهلية عليه من أحكام التبني بأمرٍ لا

---

[1] انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيّم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، ٢٦٦/٤ – ٢٦٧، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط/١٥، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م؛ وانظر: التحرير والتنوير، ٣٣/٢٢.

[2] هو محمد بن عبد الله بن محمد، أبو بكر بن العربي، الإشبيلي الأندلسي، من علماء أكابر علماء الأندلس، (ت:٥٤٣)؛ انظر: سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨)، ١٩٧/٢٠ – ٢٠٤، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

[3] أحكام القرآن، لأبي بكر بن العربي، ١٥٤٣/٣، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت.

[4] ينظر: تفسير ابن كثير، ٤٢٤/٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أبْلَغ في الإبطال منه، وهو تزوج امرأة الذي يدعى ابنًا؛ ووقوع ذلك من إمام المسلمين ليكون أدعى لقبولهم. وإنما وقع الخبط في تأويل متعلق الخشية، والله أعلم "[1].

ولا يخفى على عاقل أن مثل هذه الروايات التي تتحدث عما يتصل بشخص النبي ﷺ إذا أُخذت على علاتها فإنها ستضر بصورة النبي ﷺ، وستؤدي إلى عواقب إشكالية في قضايا متعلقة بشخصيته وعصمته ونقائه ﷺ، وقد يجد فيها المستشرقون مرتعًا خصبًا لمحاولة الطعن بشخصه ﷺ.

أما **المثال الثاني:** فهو في قوله تعالى: {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآَبِ} [آل عمران:١٤].

ذهب بعض العلماء إلى تحديدات متباينة في معنى (القناطير) أوصلها ابن الجوزي إلى أحد عشر قولاً[2]، حجة بعضها أحاديث يروونها عن النبي ﷺ في ذلك ومنها:

أولاً: قول من قال: القنطار: اثنا عشر ألف أوقية، عمدته ما روي عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "القنطار اثنا عشر ألف أوقية كل أوقية خير مما بين السماء والأرض" وقال رسول

---

[1] فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، ج٨، ص: ٥٢٤، المكتبة السلفية؛ وما ذكره هو الصواب، أنّ ما أخفاه النبيّ ﷺ في نفسه هو ما أعلمه الله إياه من أنها ستكون من أزواجه. انظر: التحرير والتنوير، المجلد التاسع، ٣١/٢٢؛ وانظر: الأقوال الشاذة في التفسير نشأتها وأسبابها وآثارها، إعداد الدكتور عبد الرحمن بن صالح بن سليمان الدهش، دار الحكمة، بريطانيا، مانشستر، ط/١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م؛ وأشار إلى بحث ماتع في هذه المسألة بعنوان (مع المفسرين والمستشرقين في زواج في زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش - دراسة تحليلية) للدكتور زاهر عوّاض الألمعي.

[2] زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ٣٥٩/١، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/٣، ١٤٠٤هـ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الله ﷺ: إن الرجل لترفع درجته في الجنة فيقول أنى هذا فيقال باستغفار ولدك لك"[١]. **ثانيًا:** قول من قال: القنطار ألف أوقية ومائتا أوقية، عمدته ما روي عن أبي بن كعب ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: "القنطار ألف ومائتا أوقية"[٢].

وكما يقول الدهش: "وهذان الحديثان لا يصحان عن النبي ﷺ، وأحسن حاليهما أنهما موقوفان؛ ولذا الراجح أن القنطار ليس بمحدَّد، إنما هو المال الكثير"[٣]. وهو ما ذهب إليه ابن جرير من قبل حيث قال: "فالصواب في ذلك أن يقال: هو المال الكثير، ولا يحد قدر وزنه بحد على تعسّف"[٤].

المطلب الأول: خطورة الروايات الضعيفة في التفسير:

ولقد نبه العلماء على خطورة مثل هذه الروايات الضعيفة ومشكلاتها في التفسير، في حين تهاون بعض العلماء في روايتها في كتب التفسير وذكرها أمام الناس على علاتها، ومن الذين نبهوا على هذه المشكلة الشيخ محمد الغزالي – رحمه الله – حيث يقول: "حقاً .. إن الناظر في بعض كتب التفسير يجد هذه المشكلة متجذرة، وهي أن بعض الأحاديث التي جاءت في التفسير بالمأثور، تكون ضعيفة السند، ومنها تفسير ابن كثير الذي نجد فيه بعضًا من المتضادات..' فعندما يفسر قوله تعالى: {قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم}[النور:٣٠] يأتي بمتناقضات! يأتي بحديث ضعيف وخفيف الوزن.. ويأتي بأحاديث

---

[1] رواه ابن ماجة في سننه، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني،،كتاب الأدب، باب بر الوالدين، برقم: ٣٦٦٠، ١٢٠٧/٢، دار الفكر – بيروت، ج/٢، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، وقال في الزوائد: صحيح الإسناد، ورجاله ثقات؛ رواه أحمد في مسنده، برقم: ٨٧٥٨، ٣٦٦/١٤.

[2] رواه ابن جرير الطبري، ٢٤٤/٦.

[3] الأقوال الشاذة في التفسير نشأتها وأسبابها وآثارها، ص: ١١٣.

[4] تفسير ابن جرير، ٢٤٩/٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أخرى تدل على أن الكحل في العين والحمرة في الخد، لا بأس بهما ولا مانع منهما.. فهو تفسير غير محقق، أو تفسير يحتاج إلى ضوابط وإلى تحقيق في صحة الآثار وتفنيدها"؛ ويعلق الشيخ الغزالي فيقول: ويؤسفني أن أقول: إن التفسير بالأثر، بلغ درجة من الإسفاف، فمثلاً ذكْر قصة الغرانيق، وذكْر قصة زينب بنت جحش على النحو الذي ذكر...[١].

وكذلك نبّه الدكتور أحمد نوفل في خلاصة بحثه حول قصة الغرانيق على خطورة هذه الروايات بقوله: "ولقد جاء على الأمة وقت لعبت فيه الرواية والإسناد والتفسير بالمأثور دورًا رئيسًا في حياة التفسير وسائر العلوم، واستغل أعداء الله هذه المسألة فركّبوا الأسانيد لروايات موضوعة، وركبوا السهل والوعر والذلول والصعب، حتى الذين نقدوا روايات الغرانيق، أقصى ما وصلوا إليه أنها روايات مرسلة، واختلفوا بعد ذلك بين معتمدٍ للمرسل، ومضَعِّفٍ له، مع أنها مسألة أصل الأصول، وكلية كبرى من الكليات كان ينبغي أن ينصب النقد على رفض مثل هذه الترهات لأنها تمس أصل الوحي وتمس بالتالي مجمل العقيدة... لا للتركيز على علة الإرسال، وهو عند قوم يحظى بالقبول، وعند قوم لا يلقى الإقبال..."[٢]

هناك أكثر من رأي عند الأئمة والعلماء حول العمل بالحديث الضعيف مطلقًا، فبعض العلماء أجازه بشروط هي: أن لا يكون شديد الضعف، وأن يندرج تحت أصل معمول به، وأن لا يعتقد ثبوته عند العمل به بل الاحتياط[٣]، "وأن يكون في فضائل الأعمال أو المواعظ

---

[1] محمد الغزالي، كيف نتعامل مع القران، ص: ٢٥٤، مدارسة أجراها: عمر عبيد حسنة، ط٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، المكتب الإسلامي.

[2] قراءة في آية (إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته)، [الحج، ٥٢]، ص: ١٦٦ – ١٦٧، إعداد: الدكتور أحمد إسماعيل نوفل. دار الفضيلة، ودار القطوف، عمّان، ط١، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٧م.

[3] انظر الباعث الحثيث إلى اختصار علوم الحديث، ص٩٠؛ وانظر: المختصر في علم الأثر، لمحمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الرومي الحنفي محيي الدين، أبو عبد الله الكافِيَجي (ت: ٨٧٩هـ)، ص١٧٠، تحقيق علي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والقصص ونحو ذلك مما لا يتعلق بصفات الله تعالى وما يجوز له وما يستحيل عليه، ولا بتفسير القرآن، ولا بالأحكام، كالحلال والحرام وغيرها"[١].

وعلى الشروط الموضوعة مآخذ كما يقول الفنيسان: "فالحديث الضعيف إما أن تتعدد طرقه فيكون حسناً لغيره، وإما لا ينجبر كأن يكون راويه متهمًا بالكذب أو فاحش الغلط؛ وأما الشرط الثاني فهو غير صحيح أيضًا، لأنه إما أن ينظر إلى الحديث الضعيف الذي لم يأت من طريق واحد، دون النظر إلى الأصل المعمول به، وهذا قول على الله تعالى ورسوله ﷺ بغير علم، وإما أن ينظر إلى الأصل المعمول به دون الحديث، فيكون حينئذ عمل بالأصل المعمول به ولم يعمل بالحديث الضعيف"[٢].

إن مسألة ضعف الرواية لا تقل إشكالية عن موضوع الإسرائيليات لما لها من تأثير على فكر الأمة، وقد تبنى أحكام على أحاديث ضعيفة، والأسلم لنا أن لا يعمل بالحديث الضعيف لا بفضائل الأعمال ولا بالأحكام ولا بغيرها، فلا ينسب إلى رسول الله ﷺ ما لم يقله أو يفعله؛ ثم إذا كان عندنا الصحيح والحسن فما حاجتنا للضعيف فالأفضل أن ترفض جميع الروايات الضعيفة، ومن هنا أراني أميل بقوة إلى رأي الشيخ أحمد محمد شاكر[٣]، وإلى ما قاله الدكتور

زوين، مكتبة الرشد – الرياض، ط١، ١٤٠٧هـ؛ وانظر: اختلاف المفسرين أسبابه وآثاره، ص: ٢٠١ – ص: ٢٠٢، للدكتور سعود بن عبد الله الفنيسان، مركز الدراسات والإعلام، دار اشبيليا، ط/١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

[1] الباعث الحثيث، ص: ٨٦، ورأي الشيخ أحمد شاكر بعد أن ذكر الشروط (أنه لا فرق بين الأحكام وبين فضائل الأعمال ونحوها في عدم الأخذ بالرواية الضعيفة، بل لا حجة لأحد إلا بما صح عن رسول الله ﷺ من حديث صحيح أو حسن؛ وأما ما قاله أحمد بن حنبل وعبد الرحمن بن مهدي وعبد الله بن المبارك: "إذا روينا في الحلال والحرام شددنا، وإذا روينا في الفضائل ونحوها تساهلنا"، فإنما يريدون به – فيما أرجح، والله أعلم – أن التساهل إنما هو في الأخذ بالحديث الحسن الذي لم يصل إلى درجة الصحة، فإن الاصطلاح في التفرقة بين الصحيح والحسن لم في عصرهم مستقرًا واضحًا، بل كان أكثر المتقدمين لا يصف الحديث إلا بالصحة أو الضعف فقط".

[٢] اختلاف المفسرين أسبابه وأثاره، ص: ٢٠٣

[٣] الباعث الحثيث، ص: ٨٦ – ٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

محمد أبو شهبة: "فما كان من هذه الروايات صحيحًا أو حسنًا: أخذنا به، وما كان ضعيفًا، أو واهيًا، أو موضوعًا، أو من الإسرائيليات: نبذناه ولا كرامة".[١]

المطلب الثاني: الوضع في التفسير

المقصود به في الاصطلاح: "هو تلك المرويات التي اختلقها الوضَّاعون، ونسبوها إلى رسول الله ﷺ، أو لبعض الصحابة رضي الله عنهم أجمعين"[٢]؛ "ولكنه إذا أطلق ينصرف إلى الموضوع على النبي ﷺ، أما الموضوع على غيره فيقيّد، فيقال مثلاً: موضوع على ابن عباس، أو على مجاهد مثلاً"[٣].

وقد نشأت ظاهرة الوضع أولاً في الحديث النبوي، ثم ظهرت تبعًا لذلك في التفسير، نتيجة لتوسع الدولة الإسلامية، وظهور الخلافات السياسية والمذهبية في إطار الأمة الإسلامية[٤].

والواقع، فإن ظاهرة الوضع عمومًا ظهرت نتيجة لأسباب عديدة لا مجال للخوض فيها هنا، بيد أننا نستطيع أن نُجمل تلك الأسباب في ثلاث نقاط رئيسة هي[٥]:

الأولى: هي التعصب المذهبي، فقد كان التعصب المذهبي الذي ابتليت به هذه الأمة نتيجة حتمية لانقسامها إلى فرق مختلفة ومذاهب متعددة.

---

[٢] انظر: الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير، الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة، ١٠٧/١، مكتبة السنة، ط/٤.

[2] مناهل العرفان، للزرقاني، ص: ٣٤٨؛ وانظر: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، ص: ٢٢٩.

[3] الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ١٤/١.

[4] انظر: التفسير والمفسرون، ١٥٧/١ – ١٥٨؛ وانظر: معايير القبول والرد لتفسير النص القرآني، للدكتور عبد القادر الحسين، ص: ٥٦٢.

[5] انظر: التفسير والمفسرون، ١٥٨/١ – ١٥٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الثانية: التقسيم السياسي للدولة الإسلامية، واختلاف الولاء السياسي فيها؛ فبعد أن انقضى عهد الخلافة الراشدة بدأ عهد الملوك الذي تمثل في الخلافة الأموية ثم العباسية، وقد اختلفت ولاءات الناس باختلاف توجهات هاتين الخلافتين، فكان لهذا التقسيم واختلاف التوجهات والولاءات دورًا في ظهور هذه الظاهرة وامتدادها.

الثالثة: أصحاب الأغراض والأهواء أسهموا كذلك في بروز هذه الظاهرة وسعوا ما استطاعوا لاستغلالها؛ لتحقيق أغراضهم وأهدافهم العدائية لهذا الدين... وهكذا وجد أعداء الإسلام في ظاهرة الوضع ضالتهم، للنيل من هذا الدين وأهله فأخذوا يضعون من الأحاديث، ويختلقون من الأقوال ما يلبي أغراضهم، ويحقق طموحاتهم ومخططاتهم.

لقد كان لنشوء ظاهرة الوضع وانتشارها **أثرها** السلبي على التراث العلمي لهذه الأمة عمومًا، والتفسير خاصة، فهي من ناحية أفقدت بعضهم الثقة بمخزونها الثقافي، وأورثت بعضهم الآخر التشكيك فيه أو الاستخفاف به.

وهكذا فقد لعبت هذه الظاهرة دورًا سلبيًا في اختلاط كثير من الأقوال التي لم يصح سندها بما كان قد صح سنده وثبت نقله، فضلاً عن أن هذه الظاهرة كانت المدخل الذي دخل منه المستشرقون، والباب الذي ولج منه المغرضون للنيل من هذا الدين وتراثه وعلمائه في عصرنا الحديث، فعملوا على نزع الثقة من الأمة في تراثها، بدعوى عدم ثبوت كثير من

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأسانيد فيه، أو بدعوى وجود التناقض، أو بدعاوى أُخر لا تخفى على المتابع لكتابات أولئك القوم وأعمالهم[١].

لكن ما لا بد من التنبه إليه، والتركيز عليه، أن ظاهرة الوضع قد مثَّلت جانبًا من علم التفسير فحسب، وليست هي التفسير في مبتداه ومنتهاه؛ وبيان ذلك أن الله سبحانه قد قيضَّ لعلم التفسير من العلماء الذين شمروا عن ساعد الجد، وصرفوا جُلَّ أوقاتهم، فتتبعوا أحوال الرواة، ووضعوا قوانين الرد والقبول، ورحلوا في البلاد؛ ليبينوا الطيب من الخبيث، ويعلموا الصالح من الفاسد، ويقيموا الصحيح من السقيم؛ فذادوا بعملهم هذا عن حِمَى علم التفسير، ودفعوا عنه وضع الواضعين، وتحريف المحرِّفين، ومغالاة المغالين، بحيث لم يبق في هذا العلم من الدخيل إلا القليل، وهو معروف عند أهل ذلك الشأن، وعند من رزقه الله علمًا وفهمًا في دينه. وبذلك تحقق وعد الله في حفظ هذه الشريعة، وحمايتها من كل ما أصاب غيرها من الشرائع، من عوامل التحريف والبطلان[٢].

هنا لا يسلّم –إن جاز لي أن أبدي رأيي– إلى ما أشار إليه الدكتور محمد حسين الذهبي حيث قال: "إن كان موضع نقد من ناحيته الإسنادية، فإنه لا يخلو من قيمته العلمية، لأنه مهما كثر الوضع في التفسير فإن الوضع ينصب على الرواية نفسها، أما التفسير في حد ذاته فليس دائمًا أمرًا خياليًا بعيدًا عن الآية، وإنما هو – في كثير من الأحيان – نتيجة اجتهاد علمي له قيمته، فمثلاً مَنْ يضع في التفسير شيئًا وينسبه إلى عليّ أو إلى ابن عباس ﷺ، لا يضعه على

---

[1] انظر: التفسير والمفسرون، ١/١٥٩ – ١٦٣، وقد نوّه إلى كلام جولد زيهر في كتابه (المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن) الذي يرمي من خلاله إلى صرف النظر عن تفسيرات السلف بدعوى التناقض الموجود بين الروايات، وأن الصحابة وخاصة ابن عباس ﷺ يناقضون أنفسهم!

[2] انظر: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، ص: ٢٣٠؛ انظر: معايير القبول والرد لتفسير النص القرآني، ص: ٥٦٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنه مجرد قول يلقيه على عواهنه، وإنما هو رأي له، واجتهاد منه في تفسير الآية، بناه على تفكيره الشخصي، وكثيرًا ما يكون صحيحًا، غاية الأمر أنه أراده لرأيه"[1]. أي أن هذا الواضع أراد أن يعطي رواجًا ومشروعية لقوله عن طريق الكذب فنسبه لصحابي ما، وهذا ما لا تقبله النفوس السليمة ولا الفطر القويمة، فالكذب يبقى كذبًا ولا قيمة له، فضلاً عن أنه يوجد من المنقول الصحيح أو المعقول الفصيح ما يغني عن ما قيل دسًّا وكذبًا.

وبناءً على ما سبق، فليس الهدف فيما جاء في هذا الكلام، التقليل من أهمية ما جاء في التفاسير من أقوال وآراء لأهل العلم ومصداقيته، فليس هذا ما أريد، بل المراد من ذلك التنبيه على ظاهرة تاريخية وقعت، فاقتضى المقام التعرض إليها بإيجاز واختصار.

ثم إني ألفت الانتباه أخيرًا إلى أن الحديث عن هذه الظاهرة وتفصيل القول فيها عادةً ما تَرِد عند الحديث عن تاريخ تدوين الحديث النبوي، وما رافق ذلك من تطورات ومظاهر، فمن أراد التوسع في معرفة هذه الظاهرة وما يتعلق بها، فعليه بكتب تدوين الحديث النبوي وعلومه، ففيها فَضْل قولٍ وزيادة فَوْدٍ. والله أعلم.

[1] التفسير والمفسرون، ١٦٤/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني: الإسرائيليات وأثرها في قيمة التفسير الأثري

المطلب الأول: المقصود بالإسرائيليات وكيف تسربت وتطورت

أغلب المسلمين الدارسين والباحثين يعرفون بشكل عام ماذا تعني الإسرائيليات، على الرغم من أن هذا المفهوم فيه من الضبابية والتشويش ما يجعل الكثيرين من أبناء أمتنا الإسلامية يقعون في تصديق بعض الإسرائيليات غافلين غير منتبهين، ومع قناعتي التامة بإخلاص المفسرين لكتاب الله عزّ وجلّ، أمثال الإمام الطبري والإمام ابن كثير -عليهما رحمة الله تعالى- وغيرهما من المفسرين الذين وردت الإسرائيليات في تفسيراتهم، فإن هذا الأمر يحتاج إلى تدقيق وتمحيص لمعرفة كيفية حشو بعض التفاسير بهذه الإسرائيليات التي نسبت إلى الرسول الكريم ﷺ وإلى صحابته وتابعيهم ومن بعدهم.

وإن كنت في هذا المبحث القصير سأتكلم عن الإسرائيليات، فإنني في مقدمة هذا المبحث أعترف بعجزي عن كشف (الحقيقة كاملة) حول هذه الإسرائيليات، وكيف استطاع زنادقة بني إسرائيل[1] دسّها في أفكار المسلمين ومن ثَمَّ دُست في العديد من التفاسير، وعزائي أن كل ما أستطيعه هو توضيح براءة الدّين الإسلامي من هذه الإسرائيليات، والتنبيه إلى ترك هذه الأباطيل، والتمسك بأصدق الأقاويل - آيات الله التامة، وسنة النبي ﷺ.

المقصود بالإسرائيليات: هي الروايات التي وردت عن بعض أهل الكتاب - يهود ونصارى - مما يتصل بتفسير القرآن الكريم، فتلوّن التفسير بهما وتأثر، وذلك على يد من

[1] طبعًا ليس بالضرورة أن يكونوا زنادقة، فالغالب منقول من تراث بني إسرائيل، وبعض من نَقَلَها كان قد آلَ حاله إلى الإسلام، وبعض هذه الروايات مخالف تمامًا لديننا، وهو في الغالب من التحريف أو الكذب والوضع، وسيأتي الحديث لاحقًا عن أقسام الإسرائيليات التي وضعها العلماء.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دخل في الإسلام منهم أمثال عبد الله بن سلام وكعب الأحبار ووهب بن منبه وغيرهم[١]؛ أو هي: قصة أو حادثة تروى من مصدر إسرائيلي[٢]؛ وإنما تفاوتت من حيث الشمول وعدمه، والذي اعتمده رمزي نعناعة هو: "كل دخيل على التفسير، وبخاصة ما فيه مبالغة وتخريف ودس وكذب وإن كان مرويًا عن غير إسرائيليين..." [٣].

أما كيف تسربت الإسرائيليات إلى التفسير وتطورت، وما هو موقف العلماء منها، وما هو أثرها على قيمة التفسير المأثور وجدواه؟ فقد أجاب بعض العلماء والباحثين قديمًا وحديثًا عن هذه الأسئلة المهمة وغيرها فيما يتعلق بموضوع الإسرائيليات، لا سيما أن الإسرائيليات مشكلة معضلة إن لم تكن سرطانًا أضعف الروايات المأثورة وأضعف ثقة العلماء بها، والحديث عن تاريخ دخولها إلى الثقافة الإسلامية وأسبابه يبين مدى خطورتها وغاياتها التدميرية لهذه الثقافة الصافية التي تعكرت بمثل هذه الروايات، وكذلك مواقف الناس منها.

والواضح أن هناك عدم اتفاق عند العلماء فيما يتعلق بتاريخ دخول الروايات الإسرائيلية إلى التفسير هل كان في عهد الصحابة ﷺ أم لا؟ وقبل ذلك هناك جمع غفير من أهل العلم والتفسير قالوا بأن دخول الإسرائيليات إلى الثقافة العربية كان قبل الإسلام[٤].

---

[1] انظر: التفسير والمفسرون، ١٦٥/١؛ وانظر: كيف نتعامل مع القرآن العظيم، ص: ٣٢٥؛ وانظر: بحوث في علوم التفسير والفقه والدعوة، بحث (الإسرائيليات في التفسير والحديث) للدكتور محمد حسين الذهبي، ص: ١٧، دار الحديث، القاهرة، ط/١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م؛ وانظر: دراسات في علوم القرآن والتفسير، أحمد القضاة، ص: ٢٤٩؛ وانظر: المقدمات الأساسية في علوم القرآن، عبد الله الجديع، ص: ٣٤٣.

[2] الإسرائيليات في التفسير والحديث، ص: ١٧.

[3] انظر: الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير، ص: ٧١ – ٧٥، وقد بيّن من خلال المفهوم أن الذين عرضوا لمصطلح الإسرائيليات هم المتأخرون، وليس القدماء.

[4] انظر: مقدمة ابن خلدون، ص: ٥٢٩؛ وانظر: الإسرائيليات في التفسير، للذهبي، ص: ١٩، نقلاً عن عدة كتب، وفي بحث الشيخ الذهبي تجد التفصيل الوافي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكانت البدايات عندما ظهرت الدعوة الإسلامية بظهور سيد المرسلين محمد ﷺ؛ حيث رأى بعض اليهود القاطنين في المدينة (يثرب) وما حولها أن هذا النبي هو الذي بَشَّرَ به الأنبياء في كتبهم، وخاصة نبي الله موسى عليه السلام وكذلك عيسى عليه السلام؛ فدخلوا الإسلام وحسن إسلام بعضهم، ومن اليهود من أظهر إسلامه وأبطن يهوديته وذلك لغاية في نفوسهم، ومن أمثالهم عبد الله بن سبأ.

وعلى الرغم من ذلك فإن رسول الله ﷺ حذر المسلمين أن لا يتخذوا كلام هؤلاء مرجعًا من مراجع العقيدة أو التاريخ؛ وقد ورد عنه ﷺ قوله: "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا: آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم"[1]. وإذا تفحصنا نهي الرسول ﷺ عن الأخذ من أهل الكتاب أدركنا أهمية المسألة.

وما يهمّ في هذا الجانب هو كيف تصاعد تسرب الإسرائيليات إلى التفسير بهذه الصورة المتفشية؟! وكما ذكرت فالخلاف بين العلماء حاصل فيما لو بدأ التسرب في عهد الصحب الكرام أم لا؟ فعلى سبيل المثال يرى الذهبي أن دخول الإسرائيليات في التفسير يرجع إلى عهد الصحابة رضي الله عنهم ويعلل ذلك باتفاق القرآن مع التوراة والإنجيل في بعض المسائل، بل عدّ الرواية عن أهل الكتاب مصدرًا من مصادر التفسير عند الصحابة[2].

---

[1] صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، برقم: ٦٩٢٨، ٦/٢٦٧٩.

[2] انظر هذا الرأي مفصلاً في التفسير والمفسرون، ١/١٦٩ – ١٧٨؛ وفي بحثه السابق ص: ٢٤، **وهو كذلك رأي الأستاذ أحمد أمين والأستاذ إبراهيم خليفة** كما ينقل الدكتور فضل عباس في كتابه التفسير أساسياته واتجاهاته ص: ٢٢٩ – ٢٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد اعترض على هذا الرأي الدكتور فضل عباس تحت عنوان: (أخبار أهل الكتاب ليست من مصادر التفسير عند الصحابة) وذلك مدعمًا بأدلة عقلية وبالعديد من الأدلة الثابتة النقلية من السنّة وسيرة الصحابة[١].

والذي تميل إليه النّفس أنّ الصحابة وإن سألوا أهل الكتاب، فهذا لا يحتّم أنّهم اعتمدوا على أقوالهم واعتقدوا بها في التفاسير، وبالتالي لا أراني أتفق مع الشيخ الذهبي في أنّ تاريخ دخول الإسرائيليات قد بدأ من عهد الصحابة، وكما لا يمكن مطلقًا الادّعاء أن أخبار أهل الكتاب كانت مصدرًا من مصادر التفسير عند الصحابة، فضلاً عن أن يتوسعوا في الأخذ عنهم.

وينبغي أن نفهم بأن القرآن عندما جاء وجد ثقافة قائمة، وكانت الديانة الأساسية فيها هي اليهودية والنصرانية، وكان هناك المشركون الذين ليس لهم كتاب وليس لهم دين[٢]، ولذلك كان هناك أهل الكتاب الذين لهم دين وكتاب؛ ونبيّنا ﷺ بُعث في أمَّة أميَّة بكتاب عربي مبين، فكانت هذه الرسالة الجديدة بهذه اللغة دلالة على أنه ﷺ لم يأخذ ولا أصحابه شيئًا يتعلق بأمور الدين من اليهود. ولذلك كان الصواب ما قال الدكتور فضل: "كانت مصادر التفسير عندهم صافية غير مستوردة، تنبع من ذاتهم وبيئتهم... وهذه الميزات لا تجدها في الفترة التالية أي فترة تفسير التابعين"[٣].

---

[1] انظر: التفسير أساسياته واتجاهاته، ص: ١٥٨ – ١٥٩

[2] لكنها في الأصل كانت على ملّة إبراهيم عليه السلام ثم غيَّرت وبدَّلت

[3] المصدر السابق ص: ١٥٩؛ والناظر في مقدمة كتاب مع قصص السابقين للدكتور صلاح الخالدي يستوضح ذلك بالأدلة، وهي مقدمة ماتعة حول موضوع الإسرائيليات.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن هنا بدأت الإسرائيليات – في **عهد التابعين** – تتسع وتستشري في التفسير وذلك ضمن مرحلتي: الرواية: عن طريق القصاص الذين يجالسون العامة، حيث كان الشغف بهذه المرويات كبيرًا جدًا، ومن ثم التدوين: خاصة بعد انفصال التفسير عن الحديث وبعد طبقة الطبري التي حذفت فيها الأسانيد، حيث كان الغرام بهذه الإسرائيليات حتى وصل الحال ببعضهم أن لا يترك شاردة ولا واردة منها إلا أوردها، ومنهم أبو إسحاق الثعلبي ٤٢٧هـ[١].

المطلب الثاني: مواقف العلماء من الإسرائيليات وحكم روايتها

سأختصر فيه الحديث محيلاً إلى مراجع أثرت هذا الجانب بشكل وافٍ، ولكن الحديث الآن عن إشكالية كبرى من إشكاليات التفسير الأثري، فكان لا بدّ من الإتيان على جميع جوانبها التي منها حكم رواياتها وهنا تباينت مواقف العلماء قديمًا وحتى وقتنا هذا، وربما تبقى إلى عقود عديدة ما لم تتكاتف الجهود لحسم هذه المسألة.

إن أصل هذه المسألة يرجع إلى الحديث الصحيح عن عبد الله بن عَمْرٍو ﷺ أن النبي ﷺ قال: "بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار"[٢].

فمورد الحرج في الحديث أخذ عدة منحنيات بين اعتمادها ورفضها، ولنأخذ ابتداءً رأي علماء الصحابة متمثلاً بابن عباس ﷺ، حيث يروي البخاري وغيره عبد الله بن عباس ﷺ قال: "يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل الله على نبيكم ﷺ أحدث الأخبار بالله محضًا لم يُشَب، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب قد بدّلوا من كتب الله وغيَّروا فكتبوا

---

[1] انظر: الإسرائيليات في التفسير والحديث، ص: ٢١ – ٢٧؛ وانظر: مقدمة ابن خلدون، ص: ٢٥٩؛ وانظر: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، ص: ٢٣٠ – ٢٣١؛ وأنوّه أنني اختصرت الحديث عن دخول الإسرائيليات طلبًا لذلك، والذي يهمني في هذا الجانب التأكيد على أن الصحابة لم يعتمدوا الإسرائيليات، وللاستزادة يرجع إلى تلك المراجع يجد الشرح الوافي.

[2] صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، برقم: ٣٢٧٤، ١٢٧٥/٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بأيديهم الكتب، قالوا هو من عند الله، ليشتروا بذلك ثمناً قليلاً، أولا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم! فلا والله ما رأينا رجلاً منهم يسألكم عن الذي أنزل عليكم"[١].

وهذا ابن مسعود كما يروي الدارمي في سننه عن مُرَّةَ الهَمْدانى قال: جاء أبو قُرَّةَ الكِنْدي بكتاب من الشام، فحمله فدفعه إلى عبد الله بن مسعود ﷺ فنظر فيه، فدعا بطَسْت ثم دعا بماء، فَمَرَسَه فيه وقال: إنما هلك من كان قبلكم باتباعهم الكتب وتركهم كتابهم. قال حصين: فقال مرة: أما إنه لو كان من القرآن أو السنة لم يمحه، ولكن كان من كتب أهل الكتاب. "[٢].

وها هو نفسه يقف موقف أخيه ابن عباس ﷺ في ما أخرجه عبد الرزاق في مسنده عن حريث بن ظهير قال: قال عبد الله: لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، فإنهم لن يهدوكم، وقد ضلوا، فتكذبوا بحق وتصدقوا الباطل..."[٣].

ومن هنا نفهم كما ذكرت سابقًا من موقف الصحابة أن الإسرائيليات لم تجد مرتعها الخصب عند الصحابة وإن تعاملوا معها فعرفوا كيف يأخذون هذه المرويات، ومتى، وفي أي موضوع، وفي حدود ضيقة جدًا، على عكس التابعين الذين توسعوا في العودة إلى الإسرائيليات[٤].

---

[1] صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب لا يُسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها، برقم: ٢٥٣٩، ٩٥٣/٢، وجاء ذكره في غيره من الكتب والأبواب.

[2] أخرجه الدارمي في سننه، عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي، كتاب المقدمة، باب من لم ير كتابة الحديث، برقم: ٤٧٧، ١٣٤/١، دار الكتاب العربي – بيروت، ٢ج، تحقيق: فواز أحمد زمرلي, خالد السبع العلمي، الأحاديث مذيلة بأحكام حسين سليم أسد عليها، وقال: صحيح الإسناد؛ وأكد صحته الدكتور عبد الله الجديع، انظر: المقدمات الأساسية في علوم القرآن، ص: ٣٤٤؛ والمَرْس بمعنى الدَّلْك.

[3] انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، ٢٩٢/٥، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحب الدين الخطيب، رقَّم كتبه وأبوابه وأحاديثه وذكر أطرافها: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت وقال الإمام ابن حجر: إسناده حسن؛ وأخرجه الإمام أحمد برقم: ١٤٦٣١، ٤٦٨/٢٢.

[4] وقد ذهب إلى هذا الرأي مجموعة من أهل التفسير في زماننا، انظر: التفسير أساسياته واتجاهاته، للدكتور فضل عباس، ص: ٢٣٥؛ وانظر: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، للدكتور صلاح الخالدي، ص: ٢٣٠؛ وانظر: المقدمات الأساسية في علوم القرآن، للدكتور عبد الله الجديع، ص: ٣٤٦؛ وكذلك فضيلة الدكتور أحمد نوفل في كتابته ودروسه ومحاضراته ولقاءاته يؤكد على منهجية الصحابة في تماسهم مع أهل الكتاب وخصوصًا (ابن عباس ﷺ – الذي لا يحتاج إلى علم أهل الكتاب، بل كان يسأل من باب اختبار

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويسرد الدكتور فضل عباس مواقف الأئمة من السلف الرافضة لهذه الإسرائيليات مثل: الغزالي وابن كثير المتأثر بأستاذه ابن تيمية في هذا المجال، ويذكر كذلك من الذين ينقلون الإسرائيليات ويعتمدوها مثل: الثعالبي والبرهان البقاعي – رحمة الله على جميع علماء المسلمين من السلف والخلف"[١].

وهو كذلك يذكر آراء المعاصرين الذين يرون جواز رواية الإسرائيليات مثل[٢]: الذهبي، حيث يقول صراحة عند التوجيه بين أدلة المانعين وأدلة المبيحين[٣]: "ومفاد هذا أنه يجوز أن نحدّث عنهم بما نقطع بصدقه ومن أجل أن نأخذ منه العظة والعبرة"[٤]، وتبعه في هذا الدكتور إبراهيم خليفة[٥].

القوم، من باب المعرفة وإشباع التطلع الإنساني، نحو أن أعرف ماذا في الضفة الأخرى من المعرفة، ماذا عند الآخرين فقط، وإلا سيكون ابن عباس ﷺ متناقضًا – حاشاه –)؛ وغيرهم من الذين تصدوا وبشكل كبير لهذه الإسرائيليات أيًّا كان موضوعها، وخصوصًا ما يمس أمور العقيدة والأحكام، وتنقية ساحة الصحابة الكرام منها...

[1] التفسير أساسياته واتجاهاته، ص: ٢٣٦ – ٢٣٧.

[2] المصدر السابق، ص: ٢٢٩ – ٢٣٣.

[3] الإسرائيليات في التفسير والحديث، ص: ٤٠ – ٤٢.

[4] المصدر السابق، ص: ٤٥.

[5] التفسير أساسياته واتجاهاته، ص: ٢٣١ – ٢٣٣، نقلاً عن كتابه (منة المنان في علوم القرآن) ٣٦/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن **أقسام الإسرائيليات** التي وضعها السابقون جعلت الغالب من أهل التفسير يتساهلون في اعتماد الإسرائيليات، وهذه الأقسام كما ذكرها ابن تيمية في مقدمته وابن كثير في مقدمة تفسيره هي[١]:

الأول: ما علمنا صحته، مما بأيدينا، مما يشهد له بالصدق.

الثاني: ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه.

الثالث: ما هو مسكوتٌ عنه، لا من هذا القبيل، ولا من هذا القبيل.

ومن هنا يبيّن ابن تيمية رأيه في الأحاديث الإسرائيلية بشكل عام على أنها للاستشهاد لا للاعتقاد، وهو عدّ الأول صحيحًا والثالث يجوّز حكايته، – وهذا الرأي أو التقسيم تبنّاه كثير من علماء التفسير في هذا العصر وأبرزهم العلامة الشهيد محمد حسين الذهبي[٢] – مع أن المعروف أن ابن كثير حارب الإسرائيليات –، فمثلاً قال عند تفسير الآية (٥٠) من سورة الكهف – بعد أن ذكر أقوالاً في "إبليس" واسمه ومن أيّ قبيلٍ هو؟! "وقد ورد في هذا آثار كثيرة عن السلف، وغالبُها من الإسرائيليات التي تُنقل ليُنْظَر فيها، والله أعلم بحال كثير منها، ومنها ما قد يُقْطَع بكذبه، لمخالفته للحقّ الذي بأيدينا، وفي القرآن غنيةٌ عن كل ما عداه من الأخبار المتقدمة..."؛ ولكنه وقع فيها ورواها، وقد اطلعت على رسالة جامعية عن الإسرائيليات عند ابن كثير[٣].

---

[1] انظر: مقدمة ابن تيمية في أصول التفسير، ص: ٢٦ – ٢٨؛ وانظر: مقدمة تفسير ابن كثير، تهذيب الدكتور صلاح الخالدي، ١٥/١.

[2] الإسرائيليات في التفسير والحديث، ص: ٤٨.

[3] انظر: تفسير ابن كثير، تهذيب الخالدي، ٢٠٦٢/٤؛ ورسالة الماجستير هي لمصطفى الخان، بعنوان: "منهج الإمام ابن كثير في روايته ونقده للإسرائيليات" وقد نوقشت عام ٢٠٠٤م في الجامعة الأردنية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والذي يقصده ابن تيمية جواز حكايتها استئناسًا واستشهادًا، لا اعتقادًا واعتضادًا، وما يؤكّد ذلك قوله في مجموع الفتاوى: "إنّ الإسرائيليات تذكر على وجه المتابعة، لا على وجه الاعتماد عليها وحدها."، وفي موضع آخر من فتاواه نجده يقول: "لكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تُذكر للاستشهاد لا للاعتقاد."[١]، ولكن كلام ابن تيمية –رحمه الله– غير مسلّم فيه، لأنه لو كان في حكايتها أدنى فائدة لبيّنته الشريعة كاملة لتعود على المكلّفين بالفائدة في دينهم، وأيضًا ما فائدة أن يُستأنس بالإسرائيليات، أفلا تكفي قوّة الأدلة الموجودة في ديننا فنأخذ بالأحاديث الإسرائيلية ونستشهد بها؟!!

فالأقسام إذن لها عدة اعتبارات (الصحة وعدمها، الموافقة للدين ومخالفته، الموضوع) وعلى هذا فهناك مجيزون للإسرائيليات ومانعون لها، وقد نوقشت هذه القضية بشكل مفصل عند أهل التفسير، وخصوصًا المعاصرين منهم، وللاختصار أحيل القارئ الكريم إليها حيث يجد الشرح الوافي، ولكن أودّ أن أنوّه إلى أن الدكتور صلاح الخالدي أوصل أدلة المانعين للإسرائيليات إلى سبعة عشر دليلاً، وقد ناقش الدكتور فضل عباس المجيزين وردّ عليهم، واشتهر بشكل واسع دفاع الدكتور أحمد نوفل عن هذا الرأي في شتى المحافل والمجامع وفي ثنايا الكتب الخاصة به مثل كتاب (سورة يوسف دراسة تحليلية)[٢] وكتاب (مناهج البحث والتأليف في القصص القرآني)[٣]؛ وهذا ما تميل النفس إليه كما أشرت[٤].

---

[1] مجموع الفتاوى، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ)، ٣٦٦/١٣، تحقيق أنور الباز – عامر الجزار، دار الوفاء، ط/٣، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

[2] من طباعة دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط/١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م .

[3] من منشورات دار الفضيلة ودار القطوف، عمان – الأردن، ط/١٤٢٧هـ – ٢٠٠٧م.

[4] انظر: مع قصص السابقين في القرآن دروس في الإيمان والدعوة والجهاد، للدكتور صلاح الخالدي، ص: ٤٨ – ٥٥، دار القلم، دمشق، ط/٥، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م؛ وانظر: التفسير أساسياته واتجاهاته، ص: ٢٢٦ – ٢٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقبل الحديث عن أخطار الإسرائيليات على التفسير والثقافة الإسلامية بشكل عام، هنـــاك مشكلة واجهتني في هذا الموضوع وهي الإسرائيليات بين رفضها بداية ثم الوقوع فيهـــا أو اعتبارها، أي رغم أنّ بعض المفسِّرين قد حذّر مـــن ذكـــر الإســـرائيليات إلا أنّ معظمهـــم يتورّطون في ذكرها، لا ليحذِّروا منها، ولا لينبِّهوا على كذبها، وإنّما يذكرونها وكأنّها وقائع صادقة وحقائق مسلّمة بلا نقد لها، وبغير أسانيدها التي تيسِّر لمن ينظر فيها معرفة صـــدقها من كذبها؛ والذي تبيّن لي أن الذي قرر أن لا يورد الإسرائيليات وبـــيّن موقـــف رفـــضها وصرح به إلا أنه في داخله يجيز روايتها، وإلا لماذا أوردها مورد الاعتماد والتـــرخيص لا التنبيه على خطورتها؟! بالإضافة إلى أن ما تسرب من الإسرائيليات لم يكن كله مكـــشوفاً أو قابلاً للكشف إلا بصعوبة بالغة؛ لذلك وقع بعض المفسرين فيها واستندوا في بعض تفسيراتهم على ما تسرب من هذه الإسرائيليات، (ولكن يبقى هذا الموضوع كبيرًا وشائكًا ويحتاج إلـــى دراسة مستقلة).

المطلب الثالث: خطر الإسرائيليات

إنّ أضرار الإسرائيليات جد عظيم على عقائد المسلمين وقدسية الإسلام، كيف لا وهي تحوي العديد من الخرافات والأباطيل والتي نسب الكثير منها إلى الرسول ﷺ وإلى صـــحابته الكـــرام الأطهار، وقد اتخذها بعض المشتغلين بالتفسير مادة يشرحون بها بعض نصوص القرآن الكريم، وهذه الصورة المروية ستشكّل خطرًا بالغًا وشرًّا مستطيرًا[1]، وفي هذا الباب أذكر بعض النقاط باختصار محيلاً إلى المراجع المفصلة لها، وأبدأ بما ذكره الذهبي في بحثه:

١.فساد العقيدة وذلك بما تحويه من تشبيه وتجسيم لله سبحانه، ووصفه بما لا يليق بجلاله وكماله، وكذلك ما يتعلق بالأنبياء والمرسلين وعصمتهم؛ وذكر لهذا أمثلة منها: قصة هـــلاك

[1] انظر: الإسرائيليات في التفسير والحديث، ص: ٣٠ – ٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قوم لوط كيف أن الله وملكين زاروا إبراهيم قبل الهلاك... (سفر التكوين: الإصحاح الثامن عشر) سبحانه وتعالى عما يصفون ويشركون، وما جاء في (سفر صمويل الثاني: الإصحاح الحادي عشر) عن داود عليه السلام ووقوعه في الفاحشة، وحاشاه عليه السلام، وأن هارون عليه السلام هو الذي صنع العجل ودعا بني إسرائيل لعبادته... وغير ذلك كثير من أباطيلهم وافتراءاتهم على الله ورسله.

والمطلع على تفسير الإمام الطبري – رحمه الله – يجده كثير الرواية للأخبار والقصص الإسرائيلية المسندة إلى كعب الأحبار ووهب بن منبه وابن جريج وغيرهم من مسلمة أهل الكتاب، فهو يروي في تفسيره أباطيل كثيرة، يردّها الشرع ولا يقبلها العقل، ثمّ لا يعقب عليها بما يفيد بطلانها اكتفاءً بذكر أسانيدها، –وإن كان رحمه الله لا يعتمدها أو يقصدها لذاتها– فإن ذلك يبقي المشكلة على حالها.

٢. أنها تصور الإسلام في صورة دين خرافي يعنى بالترهات والأباطيل التي لا أصل لها، ومنها ما حكوه باطلاً وخرافة عن آدم عليه السلام أن رأسه كان يبلغ السماء.. ولما هبط إلى الأرض بكى حتى بلغت دموعه البحر وجرت فيها السفن، وأن داود عليه السلام سجد لله أربعين ليلة وبكى حتى نبت العشب من دموع عينيه[1]، وما رواه القرطبي عن حملة العرش "أن أرجلهم في الأرض السفلى ورؤوسهم قد خرقت العرش"[2].

[1] الذهبي، ص: ٣٢، نقلاً عن تأويل مختلف الحديث وعن تفسير الطبري.

[2] الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد الأنصاري القرطبي، ٢٩٤/١٥، دار الكتب المصرية، ط/٢، ١٣٧٣هـ – ١٩٥٤م، وقد ذكر هذا الحديث المتعلق بالملائكة لكن بصيغة التمريض.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣. أنها كادت تذهب بالثقة في بعض علماء السلف من الصحابة والتابعين، فاتهموا من أجل نسبة هذه الإسرائيليات بأبشع الاتهامات، بل عدهم بعض المستشرقين وغيرهم مدسوسين على الإسلام وأهله.

٤. تصرِفُ الناس عن الغرض الذي أنزل القرآن من أجله وتلهيهم عن التدبر في آياته، كالكلام عن لون كلب أهل الكهف واسمه، وعن طول سفينة نوح، وأسماء الحيوانات التي حُمِلت فيها...

٥. ركز المبشرون والمستشرقون طعونهم في الإسلام ونبيه ﷺ على مثل هذه الإسرائيليات والموضوعات؛ لأنهم وجدوا فيها ما يسعفهم على ما نصبوا أنفسهم له من الطعن في الإسلام، وإرضاء لصليبيتهم التي رضعوها في لبان أمهاتهم، وهذه الأباطيل والخرافات مهما بلغ إسنادها من السلامة من الطعن فيه، لا نشك في تبرئة ساحة النبي ﷺ عنها: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} [النجم:٣-٤][1].

٦. أن وراء هذه الإسرائيليات سياسة تهويد ليس فقط على الأرض بالمستوطنين والاستيلاء العسكري والسياسي، بل تهويد للتاريخ والذاكرة[2].

وزيادة فائدة وتحذير حول هذا الأمر فإنني أرى أن أورد مقالاً قد اطلعت عليه في الساحة العربية للحوار على شبكة الإنترنت (ساحة خريستو نجم)[3]، وهو مقال جيد، ويُلاحظ من خلاله أن الكاتب قد اعتمد فيه بشكل رئيس على كتاب (الإسرائيليات والموضوعات في كتب

---

[1] الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة، ص: ١٢٠.

[2] الدكتور أحمد نوفل، الإسرائيليات وأثرها على المخزون الثقافي، حلقة على قناة المجد الفضائية المجد.

[3] العجيب في الأمر أن اسمه يدل على أنه مسيحي، فهو خريستو جورج نجم، والمقال موجود على الساحة العربية للحوار، www.alsaha.com، ساحة خريستو نجم، وقد يكون في ساحته ولكن ليس هو الكاتب ولكن في نهاية المقال يصرح أنه بقلمه...، وأيًّا كان فما يعنينا هو كلامه، وإن كان هو.. فتاريخ ميلاده ١٩٤٢م، ولد في بلده شكا – طرابلس، حصل على درجة دكتوراه في الآداب، يعمل في التعليم الجامعي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التفسير) للدكتور محمد أبو شهبة رحمه الله، فجاء في فحوى هذا المقال: إننا إذا حاولنا أن نرصد هذه الإسرائيليات التي بُثت بأسلوب أو بآخر بين المسلمين الأوائل وجدنا أنها تنقسم إلى قسمين كبيرين، القسم الأول: ويتعلق بالخلق والغيبيات. والقسم الثاني: وهو يتعلق بفلسطين وبيت المقدس – وعليه يكون الكلام[1].

إن المفسرين عندما تعرضوا للإسرائيليات غير الغيبية، خاصة ما يرتبط بحياة بني إسرائيل وعلاقاتهم بالمنطقة وفلسطين تحديدًا، وقعوا في مطبات وأشراك، كان لها الأثر السلبي البالغ على كثير من المسلمين، وظل هذا التأثير ملموسًا حتى يومنا هذا.

وإن الحركة الصهيونية وخاصة بعد احتلال فلسطين ركبت موجة الإسرائيليات كواحدة من الأساليب الإعلامية الكثيرة التي تروج لما يسمى أرض إسرائيل والهيكل وأرض الميعاد الخاصة باليهود، والمستندان الديني وكذلك التاريخي كانا وما يزالان من المستندات الهامة التي تحاول الصهيونية العمل فيهما بشكل كبير ومكثف لتنسف كل مقولات العرب والمسلمين المتعلقة بفلسطين ولتكرس الباطل على حساب الحق. ومقولاتهم تدخل في دائرة التفاسير القرآنية وسنّة رسول الله ﷺ والتراثيات الدينية والتاريخية الإسلامية.

ومن الإسرائيليات في كتب التفسير ما يذكره بعض المفسرين عند قوله تعالى: {وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوًا كبيرًا}.. إلى قوله تعالى: {وجعلنا جهنم للكافرين حصيرًا} أي الآيات من (٤ – ٨) من سورة الإسراء.

[1] سأختصر كلام الكاتب قدر الإمكان بتصرف، مع النصح بقراءته كاملاً من مظانه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد روي من الإسرائيليات اسمُ من سُلط على بني إسرائيل وصفته وكيف كان وإلام صار، وقد كانت الروايات في معظمها في بيان العباد ذوي البأس الشديد الذين سلطوا عليهم تدور حول بختنصر البابلي، وقد أحاطوه بهالة من العجائب والغرائب والمبالغات التي لا تصدق وقد أخرج هذه الروايات ابن جرير في تفسيره وابن أبي حاتم والبغوي وغيرهم عن ابن عباس وابن مسعود وعن سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب وعن السدي وعن وهب بن منبه وابن إسحق وغيرهم وخرجها من غير ذكر أسانيدها مع عزوها إلى مخرجيها السيوطي في الدر المنثور، وفيها ولا شك الكثير من أكاذيب بني إسرائيل التي اختلقها أسلافهم وتنوقلت عليهم ورواه أخلافهم من مُسلمة أهل الكتاب الذين أسلموا، وأخذها عنهم بعض الصحابة والتابعين[١].

ونعتقد أن اعتماد هذا التفسير لدى بعض المسلمين القدامى كان محكومًا بزمنهم كونهم لا يعلمون ما ستؤول إليه الأمور إذا ضعفت الأمة الإسلامية وتفككت أقطارها وزرع في قلب أرضها كيان يهودي معاد للأمة[٢]، وطالما أن النص القرآني مفتوح للدراسة، فقد اجتهد بعض المسلمين المعاصرين فمنهم من قال بحدوث إفساد بني إسرائيل وعلوهم في الزمن الماضي ومنهم من رأى أن الإفساد اليهودي وعلوهم هو ما نشهده اليوم وفي زمننا المعاصر، مستندين على عدة أمور منها: تفسيرهم (لعبادٍ لنا) وورود الأفعال المضارعة متتابعة في قوله تعالى: (يسوؤوا – يدخلوا – يُتبروا) إضافة لعدة أمور تضيء هذا الجانب إضاءة جادة)).

[1] انظر: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير والحديث، ص: ٣٠٢.

[2] ونحو هذا الكلام سمعته من أستاذي الدكتور أحمد نوفل الذي نصب العداء والحراب لهذه الإسرائيليات فالسلف لم يعانوا كما نحن بُلينا وعانينا هذه الإسرائيليات وقد صرح بتفصيل حول هذا الأمر ودافع كذلك عن موقف الصحابة وخاصة ابن عباس رضي الله عنهما على منتدى أتباع المرسلين http://www.ebnmaryam.com.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولو أن تلك الإسرائيليات والأباطيل وقف بها عند رواتها من أهل الكتاب الذين أسلموا أو عند من رواها عنهم من الصحابة والتابعين لهان الأمر، ولكن عظم الإثم أن تنسب إلى المعصوم محمد ﷺ صراحة[١]، ولا نشك أن هذا الدس من عمل اليهود والزنادقة.

يقول الشيخ العلامة الدكتور محمد أبو شهبة: "إن المراد من سياق قصة الإفساد والعلو ما قضاه الله على بني إسرائيل أنهم أهل فساد وبطر وظلم وبغي، ودلت الآيات من سورة الإسراء على أن بني إسرائيل لا يقف طغيانهم وبغيهم وإفسادهم، بل الآية توحي بأن ذلك مستمر إلى ما شاء الله وأن الله سيسلط عليهم من يسومهم سوء العذاب ويبطش بهم ويرد ظلمهم وعدوانهم واستهانتهم بالقيم والحقوق الإنسانية"[٢].

---

[1] منها ما أورده الطبري والبغوي في تفسيريهما، روى سفيان بن سعيد الثوري عن منصور بن المعتمر عن ربعي بن حراش عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ "إن بني إسرائيل لما اعتدوا وقتلوا الأنبياء بعث الله عليهم ملك فارس "بختنصر"، وكان الله ملكه سبعمائة سنة فسار إليهم حتى دخل بيت المقدس فحاصرها وفتحها وقتل على دم يحيى بن زكريا عليه السلام سبعين ألفا ثم سبى أهلها والأبناء، وسلب حلي بيت المقدس واستخرج منها سبعين ألفا ومائة ألف عجلة من حلي، قلت: يا رسول الله كان بيت المقدس عظيما؟ قال: أجل بناه سليمان بن داود من ذهب وفضة وياقوت وزبرجد، وكان عمده ذهبا، أعطاه الله ذلك، وسخر له الشياطين يأتونه بهذه الأشياء في طرفة عين، فسار بها بختنصر حتى نزل بابل فأقام بنو إسرائيل في يده مائة سنة يستعبدهم المجوس وأبناء المجوس فيهم الأنبياء، ثم إن الله رحمهم فأوحى إلى ملك من ملوك فارس يقال له "كورش" وكان مؤمنا أن يسير إليهم ليستنقذ بقايا بني إسرائيل، فسار كورش لبني إسرائيل وأخذ حلي بيت المقدس حتى ردها إليه، فأقام بنو إسرائيل بها مطيعين لله تعالى مائة سنة ثم إنهم عادوا في المعاصي فسلط الله عليهم ملكًا يقال له "أنطانيوس" فغزا بني إسرائيل حتى أتاهم بيت المقدس فسبى أهلها وأحرق بيت المقدس وقال لهم يا بني إسرائيل إن عدتم في المعاصي عدنا عليكم ثانيًا بالسبي، فعادوا فسلط الله عليهم ملك رومية يقال له "فاقس بن أستيانوس"، فغزاهم في البر والبحر فسباهم وسبى حلي بيت المقدس وأحرق بيت المقدس، قال رسول الله ﷺ: فهذا من صفة حلي بيت المقدس ويرده المهدي إلى بيت المقدس وهو ألف وسبعمائة سفينة يرمي بها على يافا حتى تنقل إلى بيت المقدس وبها يجمع الله الأولين والآخرين"، انظر: تفسير الطبري، ٣٥٧/١٧ – ٣٥٨؛ وانظر: البغوي، ٣١٨/١.

[2] الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير والحديث، ص: ٣٠٧ – ٣٠٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن أخطر ما سُرب ويسرب في هذه الأيام القول بأن الصخرة التي تحت قبة مسجد الصخرة، كانت قبلة اليهود، فهذا من الإسرائيليات المعاصرة تسربت بوعي أو بدون وعي إلى عقول بعض الناس التي يُراد من ورائها القول إن لليهود حقًا دينيًا في فلسطين لأن قبلتهم فيها، وما وراء ذلك دعوة للكف عن الجهاد وتحرير الأرض المباركة فلسطين من أيدي الصهاينة اليهود طالما هناك اعتراف بأن قبلتهم صخرة المسجد المسمى مسجد قبة الصخرة، الذي هو جزء من الحرم القدسي الشريف...))[1].

خلاصة الكلام:

أما بالنسبة لتقسيمات العلماء حول الروايات الإسرائيلية، فإن جاز لي أن أبدي رأيي هنا فإني أراها تقسيمات لا داعي لها، فما وافق الشرع من مروياتهم فنحن في غنىً عنه ما دام عندنا الأصل وهو الصحيح الموثوق منه، وما لا يصح لا نريده، وما سكت عنه فلسنا بحاجته، سواءٌ كان يتعلق بالقصص أو العقيدة أو الأحكام أو حتى الأسماء[2]، فلا نسمح بالكثير ولا بالقليل لما عُلم عن خطر الإسرائيليات.

---

[1] ينظر بتفصيل: بحث خريستو نجم؛ لكن القدس في العموم كانت قبلتهم التي كانوا يتوجهون إليها، وهذا لا يعني أنها حق لهم بعد أن فتحت وأصبحت أرضًا إسلامية.

[2] مثل، أسماء أصحاب الكهف، ولون كلبهم، وعددهم، وفي قدر سفينة نوح وخشبها، وفي اسم الغلام الذي قتله الخضر، وفي أسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم، وفي نوع شجرة عصا موسى، ونحو ذلك، وفي هذا يقول الدكتور مناع القطان: "هذه الأمور طريق العلم بها النقل، فما كان منه منقولًا نقلًا صحيحًا عن النبي ﷺ قُبِلَ، وإلا توقفنا عنه"، مباحث في علوم القرآن، ص: ٣٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

إشكاليات منهج التفسير الأثري من حيث المتن

وفيه مبحثان:

* **المبحث الأول:** دلالات الروايات الصحيحة وإشكالاتها في التفسير، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حصر الدلالة بظاهر الأثر فقط

المطلب الثاني: تفسير الآية بحديث ليس له تعلق بها

* **المبحث الثاني:** قضايا التعارض في التفسير الأثري، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعارض الروايات التفسيرية

المطلب الثاني: التعارض بين التفسير الأثري والتفسير بالرأي

المطلب الثالث: تعارض التفسير الأثري مع أصل من أصول الدين

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الأول: دلالات الروايات الصحيحة وإشكالاتها في التفسير

كما نوَّهت سابقًا سيكون الكلام والنقد بناء على ما استقر عليه مفهوم التفسير المأثور عند العلماء، وقد تمت مناقشته ونقده في مبحث المفهوم، فقد يكون البحث على الروايات التفسيرية المرفوعة والموقوفة والمقطوعة، وهذا كلّه عند الكثير من أهل الاختصاص يعدّ تفسيرًا بالمأثور.

المطلب الأول: حصر الدلالة بظاهر الأثر فقط

هذه في الحقيقة والواقع إشكالية حاصلة قديمًا وحديثًا، إذ برز في زماننا من يتبنّى هذه الفكرة ويدافع عنها، ويَعدُّ من خرج عن إطار التفسير بالمأثور مبتدعًا وصاحب هوى[1]، وذلك استنادًا على روايات عديدة كالتي رواها الترمذي عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: "اتَّقُوا الْحَدِيثَ عَنِّي إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ وَمَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ"، وفي رواية: "مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ"[2].

تحديدًا لما يُراد من هذا المبحث، فإن النبي ﷺ فسَّر، وقوله حجة قطعًا، لكن هل هذا يغلق باب الاجتهاد في فهم الآية، وأن لها معانٍ أخرى، لا سيما أن القرآن لا تنقضي عجائبه ولا تنقطع أسراره؟ وهل يجوز أن نضيف معه قولاً آخرًا، وذلك ضمن ضوابط التفسير وشروطه.

---

[1] كنت قبل وقت قريب وتحديدًا في أبريل ٢٠١٠م في بيت الشيخ شعيب الأرناؤوط في مجلس علمٍ فقال: إن الشيخ الألباني – رحمه الله – كان يعيب وينكر على من يفسر بغير المأثور؛ والحقيقة هذا يمثل رأيًا يدعو إلى عدم التفسير بغير المأثور وحصر الدلالة بما نقل وأثر، بدعوى: من نحن لنكون أفهم في التفسير من النبي ﷺ ومن الصحابة والتابعين والسلف، وبالتالي أي تفسير خارج عن هذا الإطار فهو مردود مرفوض، فتراهم مثلاً يرفضون تفسير الزمخشري والرازي وغيرهم ممن اشتهروا بالتفسير بالرأي.

[2] سنن الترمذي، كتاب التفسير عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه؛ باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، قال أبو عيسى في الحديث الأول: حديث حسن صحيح، وفي الثاني: حديث حسن، وقد سبق تخريجه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد علمنا من خلال آيات التدبر أن الله حث الأمة على التدبر، فكيف يكون التدبر إن تقيدنا بالمأثور فقط؟ وكيف نفهم قول الله تعالى لرسوله: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل:٤٤]؟ فقد بينت الآية دور النبي الكريم ﷺ في البلاغ والبيان، وترك سبحانه الباب للأمة أن تفكر في هذا النص المعجز، فهو ليس لبيئة محددة، ولا لفترة محددة، بل لكل زمان ومكان.

ثم ليس المراد مناقشة قضية جواز التفسير بالرأي وعدمه، فهذا أمر قد تم الانتهاء منه، وتكلّم فيه العلماء المحققون قديمًا وحديثًا، ولا شك أنه لا بدّ من الرأي المحمود في تفسير القرآن، وقد مرّ معنا في ثنايا هذه الرسالة عند الحديث عن تفسير الصحابي والتابعي، بل إن الرسالة بمضمونها تدعو إلى ضرورة ذلك؛ ولكن الكلام الآن عن التوسع أو المخالفة لما أتانا من تفسير يسمّى تفسيراً بالمأثور. وفي هذا السياق يقول الشيخ محمد الغزالي – رحمه الله – مقارنًا بين التفسير الأثري والتفسير بالرأي: "التفسير الأثري يحتاج إلى رقابة دقيقه عليه.. أما التفسير بالرأي حيث يكون الرأي بيانيًا أو علميًا أو لغويًا، فإنه يأتي ثمرة للنظر والتدبر في القرآن... والتدبر يعني: رأي، ويعني: فكر، واستنتاج، والقرآن كتاب عربي، يخضع للأساليب العربية في الفهم، ولا نسمح أبدًا بالشطحات، لا بد أن تبقى الكلمة هي الكلمة، لا بد أن يُفهم القرآن من خلال معهود العرب في الخطاب ومن دلالات الألفاظ كما كانت عند العرب"[1].

وقد ذاع هذا المنهج من القرن الأول إلى عصرنا هذا، فظهر بين المفسرين من يكتفون في التفسير بالأثر المروي ولا يتجاوزون عنه، حتى إنّ بعض المفسرين لا يذكرون الآية التي لا يجد حولها أثرًا من النبي ﷺ والأئمة، كما هو ديدن أشهر التفاسير الحديثية "تفسير الدر

[1] كيف نتعامل مع القران، في مدارسة مع الشيخ محمد الغزالي – رحمه الله، عمر عبيد حسنة، المكتب الإسلامي، ط/٢، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، ص: ٢٥٤ – ٢٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنثور" تأليف السيوطي (ت ٩١١ هـ) ففيه ما ذكره الطبري في تفسيره وغيره؛ وكذلك تفسير "البرهان في تفسير القرآن" للسيد هاشم البحراني المتوفى (١١٠٧ هـ).

كما أن ما ذكره الدكتور خالد السبت في قاعدته: "إذا عرف التفسير من جهة النبي ﷺ فلا حاجة إلى قولٍ من بعده"[١]، دليل على أنّ هذه إشكالية من إشكاليات التفسير المأثور.

وقد رد العلماء على مثل هذه الدعاوى كابن الوزير مثلاً في كتابه العواصم والقواصم حيث يقول: "التفسير غير مرتبط بالنقل عن النبي ﷺ"[٢].

وقد قرّر ابن عاشور صحة تفسير القرآن بغير المأثور بعد حديثه في مقدمة تفسيره عن (استمداد علم التفسير)[٣].

ويقول الشيخ محمد الغزالي: "إنّ التوقف عند حدود التفسير الأثري يؤدي إلى عدم إتاحة الفرصة أمام العقل والنظر والتدبر...، ويوجد حاجزًا نفسيًا يحول دون النظر في القرآن، ومحاولة ارتياد آفاق حضارية تؤكد معنى خلود القرآن الكريم من خلال استمرار القراءة القرآنية لقضايا العصر...، فإن صح ذلك فإن العبادات التوقيفية التي لا تتطور، فلا يمكن أن يقبل في شؤون الحياة الأخرى المتطورة والتي لا بد لها من الانطلاق والامتداد على هدْيِ القران الكريم، والاغتراف منه على مدى الزمن..." [٤].

---

[1] قواعد التفسير، ١٤٩/١.

[2] بحث بعنوان "قواعد التفسير عند ابن الوزير"، قدمه الأستاذ الدكتور محمد خازر المجالي، مجلة دراسات (علوم الشريعة والقانون)، المجلد ٢٧، العدد ٢، ٢٠٠٠، ص: ٥٣٦ – ٥٣٧، وهذا القول مأخوذ من كتاب العواصم والقواصم، ٤١٦/١ – ٤١٨.

[3] مقدمة التحرير والتنوير، ص: ٣٨.

[4] كيف نتعامل مع القران، الشيخ محمد الغزالي، ص: ٢٥٢ – ٢٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن الاقتصار على حدود التفسير الأثري، يقيد الآيات على عكس التفسير بالرأي الذي لم يتوقف، بل العكس، فقد طغى التفسير بالرأي على التفسير الأثري فهو – التفسير بالرأي – مدرسة متعددة المناهج في فهم القرآن، غير أن التفسير الأثري لا يعرض للمشكلات البلاغية، والمشاكل الكلامية، وهناك أمور كثيرة لا يتوقف عندها، كالقضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها...، بينما التفاسير الأخرى، خاصة المعاصرة منها هي التي دخلت بالقرآن إلى الحياة ومشكلاتها.

فحصْرُ معنى الآية بسبب النزول أو بقول لأحد السلف أو حتى بقول صاحب البيان الذي أوتي جوامع الكلم ﷺ فيه تحجير، بخاصة أن النبي ﷺ لم يفسر إلا ما يحتاج إلى تفسير من آي القرآن الكريم، ولهذا المعنى لزم المفسرين أن يذكروا الوجوه المحتملة من الآية الواحدة، وقد يختلفون بترجيح بعضها على بعض، فتنوعت التفاسير وازدحمت المعاني التي لمْ ولنْ تنتهي لهذا الكتاب المنير المبين، ومن هنا لا يصح للمفسر أن يُحَجِّرَ على لفظ القرآن بحمل معنى الكلمة على أحد معانيها الحاصل في زمان دون زمان أو مكان دون مكان، ما دام المعنى محتملاً على غيره، وكل ذلك ضمن شروط التفسير وضوابطه.

أمثلة تطبيقية:

إننا لو عرضنا لتفسير النبي ﷺ المباشر لبعض الآيات والذي قد تم العقد على تسميته تفسيرًا بالمأثور الذي لا تجوز مخالفته، لوجدنا أنه بالإمكان توسيع المعنى والتعدي إلى معاني أخرى، فرسول الله ﷺ حين فسّر آية أو أخرى لم يلزمنا بتفسيره، بمعنى أنه ينهانا عن القول بغير قوله ﷺ، بل كان الشعار السائد هو قوله تعالى: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} [ص:٢٩]، وفي القرآن الكريم أكثر من خمسين موضعًا يحث

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على إعمال العقل في الآيات الكونية والنفسية والقرآنية، وكان الرسول ﷺ يحث الصحابة ﷺ على الاجتهاد في الأحكام كما مرّ معنا عندما أرسل معاذ بن جبل ﷺ إلى اليمن؛ أمّا إذا ورد دليل على تخصيص آية ما بهذا المعنى من التفسير من النبي ﷺ، فالوضع يكون مختلفاً تمامًا، كبيان الصلاة مثلاً، ثم أي وضوح في هذه القضية بعد الآية التي بينَّت وظيفة الرسول ﷺ في بيان القرآن وانتهت بالحث على التفكر: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل، ٤٤].

ولعل تسليط الضوء على مثال يعيننا في الإجابة، ولكن قبل ذلك أنوّه إلى أنه إذا كان الحديث عن روايات تفسيرية نبوية فإنه ومن باب أولى عن أي قول غير قول النبي ﷺ، أي أنه إن جاز تعدّي تفسير الرسول ﷺ إلى تفسير آخر، فلا داعي إلى سَوْق أمثلة عن تفسير الصحابة والتابعين وغيرهم من السلف، والتي عدّت عند العديد من التفسير بالمأثور وهي ليست كذلك كما تقرّر معنا سابقًا.

فبالنسبة إلى تفسير الرسول ﷺ فهو إما أن يصح أو لا يصح، فإن صح فهو بيان من النبي ﷺ لما أريد بهذه الآية، غير أن هذا البيان يُتساءل فيه إن أمكن الخروج عنه إلى ما سواه أو لا بد من التزامه؟

من ذلك قوله تعالى: {الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} [الأنعام:٨٢] بيّن الرسول ﷺ للصحابة بأنه الشرك واستشهد بآية {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان:١٣] فهنا النبي ﷺ لم يفسر الظلم بالشرك –عمومًا–، فذلك لا يصح لغة، وإنما أراد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن يقول: إن الظلم مراتب وصور وأحدها الشرك، وهو المراد هنا بدليل سياق الآيات، وإلا فإن من صور الظلم المعصية والكبيرة كترك الصلاة... الخ[١].

بل إننا نجد في تفسير الطبري نفسه بعد أن ذكر العديد من الروايات التي تدور حول تلك الرواية المشهورة التي فسرت الظلم بالشرك، فقال الطبري: "وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولم يخلطوا إيمانهم بشيءٍ من معاني الظلم، وذلك: فعلُ ما نهى الله عن فعله، أو ترك ما أمر الله بفعله، وقالوا: الآية على العموم، لأن الله لم يخصَّ به معنى من معاني الظلم".

ويتابع قائلاً: "قالوا: فإن قال لنا قائل: أفلا أمْن في الآخرة، إلا لمن لم يعص الله في صغيرة ولا كبيرة، وإلا لمن لقي الله ولا ذنبَ له؟ قلنا: إن الله عنى بهذه الآية خاصًّا من خلقه دون الجميع منهم، والذي عنى بها وأراده بها، خليلَه إبراهيم عليه السلام، فأما غيره، فإنه إذا لقي الله لا يشرك به شيئًا فهو في مشيئته إذا كان قد أتى بعض معاصيه التي لا تبلغ أن تكون كفرًا، فإن شاء لم يؤمنه من عذابه، وإن شاء تفضل عليه فعفا عنه. وذلك قول جماعة من السلف"[٢].

ولا ننسى ابتداءً أنه قد حمل جمع من الصحابة الظلم المذكور في الآية على المعصية، فسألوا عنها رسول الله ﷺ، فوضح لهم معناها[٣].

وهنا معقد القول على أن هذا التفسير من رسول الله ﷺ وإن كان لا شك فيه أنه المراد من نص الآية، إلا أنه لا يقال: إنه فسّر الظلم بالشرك عمومًا، بل بيّن لنا أن الصورة المرادة هنا

---

[1] حمل الزمخشري المعنى على ما يشمل المعاصي وأبى تفسير الظلم بالكفر لفظ اللبس، ٤١/٢؛ ونقل عنه هذا ابن عاشور في التحرير والتنوير، ٣٣٣/٧؛ وكذلك أشار إلى ذلك تمامًا الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره مفاتح الغيب، ٥٣/٥ – ٥٤.

[2] تفسير الطبري، ٥٠٢/١١.

[3] تفسير ابن كثير، ١١٩٨/٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من صور الظلم هي الشرك لا غيرها، وذلك ليزيل الحرج من نفوس بعض الصحابة الـذين فهموا الآية فهمًا مغايرًا، فقالوا: وأينا لم يظلم نفسه؟ وهو ما يقرره السياق كذلك. فكل شرك ظلم، وليس كل ظلم شركًا.

لذلك نجد أن جمهور المفسرين لم يتفقوا مع الزمخشري وغيره ممن تعدّى تفسير النبي ﷺ إلى تفسير آخر ولو كان غير مخالف له، وبالمقابل لا بدّ من التزام قول النبي ﷺ في تفسيره لهذه الآية، وهو ما رجحه الإمام الطبري حيث قال: "وأولى القولين بالصحة في ذلك، ما صح به الخبر عن رسول الله ﷺ، وهو الخبر الذي رواه ابن مسعود عنه أنه قال: الظلم الذي ذكره الله تعالى"[١]، وهو ما عليه جمهور المفسرين الذين فسروا الظلم في هذه الآيـة – تحديـدًا – بالشرك[٢]، وذلك لعدّة قرائن دلّت على ذلك، منها ما أزاله النبي ﷺ من نفوس الصحب الكرام، والعديد من الروايات عن الصحابة والتابعين القائلة بنفس التفسير، وبالإضافة إلى ما يقـرره سياق الآيات، والله أعلم.

إن النبي ﷺ بهذا التفسير قد فتح للعلماء بابًا في التأمل والنظرة الشمولية عن القرآن، وهو الذي عُرف فيما بعد بالتفسير الموضوعي؛ فالتفسير الحرفي للنص يقتـضي أي نـوع مـن الظلم، وهو يعمّ أنواع المعاصي. ولكن لما ارتبط الأمر بالهلاك أو النجاة يوم القيامة كان لا بد من قصر اللفظ على مفهوم واحد للظلم ألا وهو الشرك، أخذًا بعـين الاعتبـار الآيـات الأخرى التي تبين أن الله يغفر كل شيء إلا الشرك، وأن النبي ﷺ نفسه يبين أن مـا سـوى الشرك يغفره الله وأن مآل المؤمنين إلى الجنة ولو بعد حين.

---

[1] انظر: تفسير الطبري، ٥٠٣/١١.

[2] انظر: تفسير البغوي ١٦٤/٣؛ وانظر: تفسير ابن كثير، ١١٩٨/٣ – ١١٩٩؛ وانظر: تفـسير الـسمرقندي، ٤٩٨/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أقول: إن النبي ﷺ فتح بهذا التفسير النبوي آفاقًا للنظر والتدبر في القرآن كله، وهو بذلك يرد على من تمسك بظاهر النص، فليس كل ظاهر مرادًا، وهو كذلك يريد منا النظرة الشمولية لا الجزئية – أي (التفسير الموضوعي)، وكذلك فهو يفتح بابًا للتفسير المسمى بتفسير القرآن بالقرآن مما يوضح المعاني، لا بالطريقة الاعتباطية الانتقائية، وهذا يدل على ضرورة التمكن وسعة الأفق في التفسير.

وبالمقابل لو أخذنا **مثالاً آخرًا** وهو تفسيره ﷺ لقوله تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ} [الأنفال:٦٠] كما جاء في صحيح مسلم وسنن الترمذي ونقلها غالب المفسرين في تفاسيرهم عن عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ} أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ؛ وفي زيادة الترمذي قال: "أَلَا إِنَّ اللَّهَ سَيَفْتَحُ لَكُمْ الْأَرْضَ وَسَتُكْفَوْنَ الْمُؤْنَةَ فَلَا يَعْجِزَنَّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَلْهُوَ بِأَسْهُمِهِ"[1].

فقد ذكر شيخ المفسرين في تفسيره لهذه الآية بعد ذكر العديد من الروايات: "فإن قال قائل: فإن رسول الله ﷺ قد بيَّن أن ذلك مرادٌ به الخصوص بقوله: "ألا إن القوة الرمي"؟ قيل له: إن الخبر، وإن كان قد جاء بذلك، فليس في الخبر ما يدلّ على أنه مرادٌ بها الرمي خاصة، دون سائر معاني القوة عليهم، فإن الرمي أحد معاني القوة، لأنه إنما قيل في الخبر: "ألا إن القوة الرمي"، ولم يقل: "دون غيرها"، ومن "القوة" أيضًا السيف والرمح والحربة، وكل ما كان معونة على قتال المشركين، كمعونة الرمي أو أبلغ من الرمي فيهم وفي النكاية منهم"[2].

---

[1] صحيح مسلم، باب فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثم نسيه؛ سنن الترمذي، باب ومن سورة الأنفال.

[2] تفسير الطبري، ٣٧/١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد توسع بعض المفسرين في المعنى وزادوا على ما قاله النبي ﷺ وذلك دون مخالفة لقوله ﷺ، فمثلاً يقول الرازي في تفسيره بعد أنْ ذكر أوجهًا للقوة: "وقوله ﷺ: «القوة هي الرمي» لا ينفي كون غير الرمي معتبرًا"[1].

وفي هذا المثال أيضًا، التفسير النبوي له من قبيل بيان السلاح الأكثر أثرًا، أَليس في زماننا الرمي أكثر استعمالاً، لا أعني رمي الرمح أو السهم، بل الصواريخ والقاذفات والمدفعية... تلك التي تدمر دون أن تكون المواجهة فعلية، كما إننا نحتاج لنرهب أعداءنا في غير القوة العسكرية، فالمراد قوة فكرية وعلمية مستمدة من الكتاب والسنة، وقوة تربوية، وقوة اقتصادية وسياسية وإعلامية... فالعبرة بعموم اللفظ هنا إذ لا يتعارض هذا المعنى مع المأثور ولا مع ما يقرره السياق.

وكذلك في **قوله تعالى:** {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} [البقرة:١٤٣] فقد أخرج الطبري بسنده عن النبي ﷺ وعن بعض الصحابة الكرام والتابعين الأبرار بأن "وسطًا": بمعنى عدولاً؛ وكذلك البخاري في صحيحه في كتاب التفسير لهذه الآية: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ فَيَقُولُ هَلْ بَلَّغْتَ فَيَقُولُ نَعَمْ فَيُقَالُ لِأُمَّتِهِ هَلْ بَلَّغَكُمْ فَيَقُولُونَ مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ فَيَقُولُ مَنْ يَشْهَدُ لَكَ فَيَقُولُ مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ {وَيَكُونَ الرَّسُولُ

[1] مفاتح الغيب، فخر الدين الرازي، ١٥٥/١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} وَالْوَسَطُ الْعَدْلُ[١].

قال أبو جعفر: وأنا أرى أن"الوسط" في هذا الموضع، هو"الوسط" الذي بمعنى: الجزءُ الذي هو بين الطرفين، مثل"وسَط الدار" غيرَ جائز.

كما أرى أن الله تعالى ذِكْره إنما وصفهم بأنهم "وسَط"، لتوسطهم في الدين، فلا هُم أهل غُلوٍّ فيه، غلوَّ النصارى الذين غلوا بالترهب، وقولهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هُم أهلُ تقصير فيه، تقصيرَ اليهود الذين بدَّلوا كتابَ الله، وقتلوا أنبياءَهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به؛ ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه. فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحبَّ الأمور إلى الله أوْسطُها.

أما التأويل، فإنه جاء بأن"الوسط" العدلُ. وذلك معنى الخيار، لأن الخيارَ من الناس عُدولهم[٢].

لقد توسع ابن كثير رحمه الله في معنى "الوسط" على ما جاء في كلام من سبقه من صحابة وتابعين وحتى قول الرسول الكريم ﷺ، ونراه اجتهد واستشهد بآية أخرى في تفسيره لهذه الآية، وابن كثير عُدّ من أصحاب التفسير المأثور كما هو معلوم، فقال: "والوسط هاهنا: الخيار والأجود، كما يقال: قريش أوسطُ العرب نسبًا ودارًا، أي: خيرها؛ وكان رسول الله ﷺ وسطًا في قومه، أي: أشرفهم نسبًا، ومنه الصلاة الوسطى، التي هي أفضل الصلوات، وهي العصر، كما ثبت في الصحاح وغيرها، ولما جعل الله هذه الأمة وسطًا خَصَّها بأكمل الشرائع

---

[1] تفسير الطبري، ١٥٢/٣؛ صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}؛ وسنن الترمذي، كتاب التفيسير، باب ومن سورة البقرة؛ وقد سبق تخريجه.

[2] تفسير الطبري، ١٤٢/٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأقوم المناهج وأوضح (أو أصح) المذاهب، كما قال تعالى: {هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} [الحج:٧٨]"[١].

وفي حين أننا نرى الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله يخالف الإمام الطبري رحمه الله ويتوسع في المعنى عن ما قاله النبي ﷺ والسلف من صحابة وتابعين، ومفسرين عُدّت تفاسيرهم من كتب التفسير المأثور، فيقول: "... وسط في الإيمان والعقيدة بين الإلحاد وتعدد الآلهة، وسط فيه المادة والروح"؛ بل ويربطها بالواقع حيث المقارنة بين دين الإسلام –دين الوسط– وبين الشيوعية والرأسمالية...[٢]

ومن قبله شهيد الإسلام سيد قطب في ظلاله يقول زيادة على ما سمّي بالجملة تفسيرًا مأثورًا: "... وإنها للأمة الوسط بكل معاني الوسط سواء من الوساطة بمعنى الحسن والفضل، أو من الوسط بمعنى الاعتدال والقصد، أو من الوسط بمعناه المادي الحسي...".

ويتابع رحمه الله قائلاً: "...{أمة وسطًا} في التصور والاعتقاد..، {أمة وسطًا} في التفكير والشعور..، {أمة وسطًا} في التنظيم والتنسيق..، {أمة وسطًا} في الارتباطات والعلاقات..، {أمة وسطًا} في المكان، في سرة الأرض، وفي أوسط بقاعها، {أمة وسطًا} في الزمان، تنهي عهد طفولة البشرية من قبلها، وتحرس عهد الرشد العقلي من بعدها..."[٣]

---

[1] انظر تفسير ابن كثير، ٣٠٧/١.

[2] تفسير الشعراوي، ٦٤٤/١ – ٦٤٥، الأزهر، مجمع البحوث الإسلامية، توزيع أخبار اليوم، ١٤١١هـ– ١٩٩١م.

[3] في ظلال القرآن، سيد قطب، ١٣٠/١–١٣٢، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط/١٥، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن ما سبق من تأويلات لآي القرآن الكريم لا يتنافى مع كونه كتاب هداية وإعجاز ومنهاج حياة، وهو كذلك تفسير ضمن ضوابط التفسير وشروطه، وليس فيه مخالفة لقول النبي ﷺ وتفسير الصحابة الكرام والتابعين، وهي التي اصطُلِح عليها التفسير المأثور، ولا شك أن في هذا التوسع في المعنى للآية دلالة على أن هذا القرآن صالح لكل زمان ومكان وبيئة.

لكن لا بد من التأكيد قبل ختام هذا المطلب على أنّ مثل هذه الفهم وإن تعدد وكثر، فإنه لا يصل إلى حد الفوضى وضياع الحقيقة الشرعية بين أهل الأهواء والضلالات، بل كل ذلك ضمن أصولٍ وقواعد للتفسير تضبط الفهم عن الله تعالى. والله أعلم.

المطلب الثاني: تفسير الآية بحديث ليس له تعلّق بها

إن مشكلات التفسير المأثور متعددة وشاملة لكل جوانبه –حسب التقسيمات المشهورة–، فما نسب إلى النبي ﷺ من تفسير إنما يخضع لقواعد النقد سندًا ومتنًا كما هو معلوم في علم المصطلح، وفي حال الصحة يخضع ربط السنّة بالقرآن إلى الاجتهاد أيضًا ما لم يكن النص صريحًا، فثمة فارق بين أن يتضمن كلام الرسول ﷺ ربطًا مع الآية وبين أن يوجد هذا الربط من المفسر باجتهاده، وفي هذه الحال قد لا يكون الربط دقيقًا أو صريحًا، وكذلك الشأن بالنسبة إلى ما ورد عن الصحابة، وبعد صحة النسبة قد يكون القسم الأكبر منه من قبيل اجتهاد الصحابي في التفسير، ومن باب أولى أن يقال ما ذكر في شأن التابعي.

إن الربط بين الآية والحديث قد يثري المعنى ويضفي عليه رونقًا وجمالاً وتأثيرًا، وبالمقابل قد يؤدي إلى خلل في المعنى المراد من الآية، وبُعدٍ عن روح النص القرآني، بل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يصل الحد إلى الإساءة لما يتعلق بنبوّة الأنبياء، أو ما لا يليق بحق الملائكة الكرام؛ وبتسليط الضوء على بعض الأمثلة يتضح المراد.

قال تعالى: {وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ. قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ} [ص:٣٤-٣٥].

ومناسبة هذه الآيات أنها استمرار في الحديث عن سليمان عليه السلام فتكلمت عن قصة أخرى حصلت معه، فهي كما قال الرازي[1]: "شرح واقعة ثانية لسليمان عليه السلام".

إن الذين لم يعتمدوا على الإسرائيليات في تفسير هذه الآيات، ذهب كثير منهم إلى تفسيرها بناءً على الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "قال سليمان بن داود لأطوفنّ الليلة على سبعين امرأة، تحمل كل امرأة فارسًا يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبه: إن شاء الله. فلم يقُل، ولم تحمل شيئًا إلا واحدًا ساقطًا أحد شقيه، فقال النبي ﷺ: لو قالها لجاهدوا في سبيل الله"[2].

يحتمل أن يكون هذا الحديث تأويلاً للآية عند بعض المفسرين، ولكن ليس في كلام النبي ﷺ أنه تأويل لها، والبخاري – رغم أنه ذكر الحديث في غير ما موضع من (صحيحه) – لم

[1] تفسير الرازي، ١٩٢/٢٦.

[2] صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من طلب الولد للجهاد، برقم: ٢٦٦٤، ١٠٣٨/٣، وفي غيره من الكتب (النكاح، والأيمان والنذور، وكفارات الأيمان، والتوحيد، وأحاديث الأنبياء).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يذكره في كتاب التفسير، فلو كان يراه تفسيرًا للآية لذكره فيه، ولذلك رجح شيخنا الدكتور فضل عباس حفظه الله أن لا يكون الحديث تفسيرًا لها[١].

على أن للعلماء تفسيرات أخرى لهذه الآية. وقد ذكر الفخر الرازي في تفسيرها وجوهًا منها[٢]: تفسير الآية بالحديث السابق. ومنها: قوله {ولقد فتنا سليمان} بسبب مرض شديد ألقاه الله عليه {وألقينا على كرسيه) منه {جسدًا} وذلك لشدة المرض، والعرب تقول في الضعيف إنه لحم على عظم وجسم بلا روح {ثم أناب} أي رجع إلى حال الصحة. وقد تشير دلالة السياق إلى ذلك؛ فذِكْر فتنته بعد الحديث عن فتنة داود وهي فتنة الحكم، وقبل الحديث عن فتنة أيوب وهي فتنة المرض؛ تومئ إلى تعرضه لكلا الفتنتين[٣]. ومنها: أن الله ابتلاه بتسليط خوف أو توقع بلاء من بعض الجهات عليه، وصار بسبب قوة ذلك الخوف كالجسد الضعيف الملقى على ذلك الكرسي، ثم إنه أزال الله عنه ذلك الخوف وأعاده إلى ما كان عليه من القوة وطيب القلب.

هذه بعض التأويلات التي ذكرها العلماء في تفسير هذه القصة، ويسع المرء أن يرجح أيًا منها بشرط الاعتماد على صحيح المنقول وصريح المعقول، لكني أجد نفسي أنحو منحى صاحب الظِّلال حيث لم يرجح أيًّا منها، وفي كلامه الآتي بيان لهذا الرأي وعلته.

يقول سيد قطب رحمه الله عن تفسيرات هذه القصة ورواياتها: لم تسترح نفسي لأي تفسير أو رواية مما احتوته التفاسير والروايات، فهي إما إسرائيليات منكرة، وإما تأويلات لا سند

---

[1] قصص القرآن الكريم صدق حدث وسمو هدف، للدكتور فضل حسن عباس، ص: ٦٤٧، دار الفرقان، عمّان، ط/١، ٢٠٠٠م؛ ولا بد من التنبيه على أن هذا الرأي خلاف ما كان عليه في السابق في كتابه قصص القرآن الكريم إيحاؤه ونفحاته، للدكتور فضل حسن عباس، ص: ٣٥٨، ط/١، دار الفرقان، عمّان، ١٩٨٧م.

[2] تفسير الرازي، ١٩٣/٢٦.

[3] انظر: الدكتور المثنى عبدالفتاح، السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي (رسالة دكتوراه غير منشورة)، ص: ٢٧٤-٢٧٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لها، ولم أستطع تصور طبيعة الحادثة تصورًا يطمئن إليه قلبي، فأصوره هنا وأحكيه، ولم أجد أثرًا صحيحًا أركن إليه... وكل ما نخرج به هو أنه كان هناك ابتلاء من الله وفتنة لنبي الله سليمان عليه السلام في شأن يتعلق بتصرفاته في الملك والسُّلطان كما يبتلي الله أنبياءه ليوجههم ويرشدهم، ويبعد خطاهم عن الزلل، وأن سليمان عليه السلام أناب إلى ربه ورجع، وطلب المغفرة، واتجه إلى الله بالدعاء والرجاء[1].

كما أن العلماء عندما استشهدوا بالرواية على تأويل هذه الآية، لم يبينوا فيه وجه الارتباط بين الآية والرواية "الحديث"، إلا أنهم ربما أرادوا بيان الفتنة المذكورة في الآية بأنها ما جاء في الحديث، غير أن هذا لا يُسلّم لهم إذ أن ما ذُكر في الحديث لا من باب الافتتان، فلا دليل في الحديث على أن الله سبحانه فتن سليمان عليه السلام بشيء، بل إن الحديث إنما يخبرنا بما وقع من سليمان عليه السلام.

ثم إن سياق الآية وتركيبها البياني ينفي أن تكون هذه الرواية تأويلاً للآية، حيث يدل تركيب الآية على أن الفتنة متصلة بإلقاء الجسد على كرسيه والذي لم تبيّن الرواية الصحيحة ماهيته؛ والأولى أن يبقى النص على عمومه ولا يُقيَّد، إلا إذا جاء نص صحيح صريح يقيّده بذلك المعنى، وهنا يتبين أن الرواية المُستشهد بها لا تنهض دليلاً على تأويل هذه الآية من حيث المعنى.

[1] في ظلال القرآن، ٥/٣٠٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومثال آخر: حيث يروي البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان غير مريم وابنها" ثم يقول أبو هريرة: {وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ}[1]

لا بد عند التعامل مع هذه الرواية، هل جاء في الرواية أن النبي ﷺ قد فسر الآية بهذه الرواية؟ فإن لم يكن كذلك، فهل أراد أبو هريرة ﷺ في سوْقه هذه الرواية أن يفسر الآية؟ أم إنه إنما ربط بين الآية وهذه الرواية دون أن يقصد إلى القول بأن الرواية تفسر هذه الآية! ولو أراد أبو هريرة ﷺ ذلك فهل ربطه أو تفسيره للآية بها لا مندوحة عنه، أم إن لنا في سياق الآية ومضمونها دليل على أن المراد بها غير ما ذكر، وهنا لا بد من العودة إلى أقوال المفسرين – رضوان الله عليهم –[2] فالرواية ليست صريحة في أنها تفسير للآية، بل لا ارتباط لها بالآية موضع البحث.

---

[1] صحيح البخاري، كتاب التفسير، بَاب {وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ}[آل عمران، ٣٦]، برقم: ٣٢٤٨، ١٢٦٥/٣.

[2] من الذين فسروا الآية بهذا الحديث، الطبري، ٣٣٧/٦؛ البغوي، ٣٠/٢؛ ابن كثير، ٥٨٠/٢؛ السيوطي في الدر المنثور، ١٨٣/٢؛ وزاد على هذا الحديث ابن الجوزي حديثَ الثلاثة الذين أطبقت عليهم الصخرة وكان منهم الذي كان يريد ابنة عمه للفافحشة وبعد أن تمكن منها امتنع خوفًا من الله، زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي عبد الرحمن بن علي بن محمد، ٢٠٤/٤ – ٢٠٥، المكتب الإسلامي – بيروت، ط/٣، ١٤٠٤هـ... وغيرهم؛ ومن الذين عارض هذا الحديث – لا سيما في تفسير هذه الآية به– الزمخشري حيث قال – بعد قول الله تعالى –: {وإني سميتها مريم}: "أرادت بذلك التقريب والطلب إليه أن يعصمها حتى يكون فعلها مطابقًا لاسمها، وأن يصدق فيها ظنها بها، ألا ترى كيف أتبعته طلب الإعاذة لها ولولدها من الشيطان وإغوائه، وما يروى من الحديث " ما من مولود..." فالله أعلم بصحته؛ فإن صح فمعناه أن كل مولود يطمع الشيطان في إغوائه إلا مريم وابنها، فإنهما كانا معصومين، وكذلك كل من كان في صفتهما كقوله تعالى: {لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ المخلصين} [الحجر: ٤٠–٤١] واستهلاله صارخًا من مسه تخييل وتصوير لطمعه فيه" (الكشاف: ٣٨٥/١–٣٨٦)؛ وكذلك أورد الرازي ردودًا على هذا التفسير، بل وهذه الرواية منها: ١. أن الشيطان يدعو إلى الشر من يعرف الخير والشر، والصبي ليس كذلك ٢. أن الشيطان لو تمكن من هذا النخس لفعل أكثر من ذلك من إهلاك الصالحين ٣. لمَ خص بهذا الاستثناء مريم وعيسى عليهما السلام دون

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قوله تعالى: {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} [يوسف:٢٤]: فقال بعض المفسرين: المراد بهمِّه بها هَمّ خَطَرات حديث النفس، فأورد البغوي ها هنا حديث أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: "يقول الله تعالى: إذا تحدَّث عبدي بأن يعمل حسنة فأنا أكتبها له حسنة ما لم يعملها، فإذا عملها فأنا أكتبها له بعشر أمثالها، وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له، ما لم يعملها، فإذا عملها فأنا أكتبها له بمثلها"[1].

فجيء بهذا الحديث لتبرير الهم الذي وقع من سيدنا يوسف عليه السلام، وهنا السؤال.. لِمَ زجّ الحديث في تفسير هذه الآية! ألتبرير موقفٍ القرآن نفسه ينفيه من خلال السياق، وهو الهم المدّعى على سيدنا يوسف عليه السلام الذي صرف الله عنه السوء، سواء كان همًّا أو غير ذلك.

سائر الأنبياء ٤. أن ذلك النخس لو وجد بقي أثره، ولو بقي أثره لدام الصراخ والبكاء، فلما لم يكن كذلك علمنا بطلانه، تفسير الفخر الرازي، ٢٧/٣؛ ومن المعاصرين كابن عاشور لم يأت على ذكر هذا الحديث ولا غيره، إنما راعا قضية السياق من تأكيدٍ بالدعاء من قِبل امرأة عمران، التحرير والتنوير، ٢٣٤/٣؛ ونحوه في ظلال القرآن، سيد قطب، ص: ٣٩٣.

[1] انظر: معالم التنزيل للبغوي، ٢٣١/٤ – ٢٣٢ ؛ وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وله ألفاظ كثيرة، هذا منها، صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب (قول الله تعالى: يريدون أن يبدلوا كلام الله)، برقم: ٧٠٦٢، ٢٧٢٤/٦؛ وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، وباب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب، برقم: ١٢٨، ١١٧/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني: قضايا التعارض في التفسير الأثري

مما قد يؤدي إليه عدم ضبط مصلطح التفسير الأثري –وخلطه بين المرفوع والموقوف والمطقوع– الوقوع في مثل هذه الإشكالات التي تجعل المرء يقف حائراً أمامها لا سيما أنها روايات موجودة في الصحاح، فمثلاً تجد رواية تفسيرية تقابلها رواية أخرى تناقضها كلاهما صحيح، أو تجد رواية صحيحة فُسِّرت بها آية قرآنية وهذا التفسير يتعارض مع بعض الحقائق، أو يعارضه أمر مسلَّم فيه كعصمة الأنبياء، وبيان ذلك كله من خلال الآتي:

المطلب الأول: تعارض الروايات التفسيرية

ومن الأمثلة الواضحة على هذه الإشكالية التعارض الوارد في تفسير قوله تعالى: {ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى}[النجم:٨] فقد ورد في تفسيرها حديثان:

الأول: وفيه نسبة الدنو والتدلي إلى الله تعالى. **الثاني:** وفيه نسبة الدنو إلى جبريل عليه السلام .

أما الأحاديث التي توهم التعارض فهي:

* عن شريك بن عبد الله أنه قال: سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: ليلة أسري برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة – وذكر حديث الإسراء بطوله، وفيه: ((ثم علا به[1] فوق ذلك بما لا يعلمه إلا

[1] أي جبريل عليه السلام.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الله حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبارُ ربُّ العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى الله فيما أوحى إليه خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة...))[١]

* عن مسروق قال: كنت متكئًا عند عائشة رضي الله عنها، فقالت: يا أبا عائشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية، قلت ما هن؟ قالت: من زعم أن محمدًا ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية. قال: وكنت متكئًا فجلست، فقلت: يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجليني ألم يقل الله عز وجل {ولقد رآه بالأفق المبين} {ولقد رآه نزلة أخرى} فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: ((إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين رأيته منهبطًا من السماء سادًا عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض))[٢].

عن أبي اسحق الشيباني قال: سألت زر بن حبيش عن قوله تعالى: {فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى} قال: "أخبرنا عبد الله بن مسعود ﷺ أن محمدا ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح"[٣].

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد؛ باب قوله:{وكلم الله موسى تكليمًا}[النساء، ١٦٤]، برقم: ؛ وأخرجه مختصرًا: مسلم في كتاب الإيمان، باب معنى قول الله عز وجل: {ولقد رآه نزلة أخرى} وهل رأى النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء؟ برقم: ١٧٦، ١٥٨/١.

[2] أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب معنى قول الله عز و جل: {ولقد رآه نزلة أخرى} وهل رأى النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء؟ برقم: ١٧٧، ١٥٩/١؛ وأخرج البخاري بنحوه في صحيحه عن مسروق قال: قلت لعائشة رضي الله عنها يا أمتاه هل رأى محمد ﷺ ربه؟ فقالت: لقد قف شعري مما قلت، أين أنت من ثلاث من حدثكهن، فقد كذب من حدثك أن محمدا ﷺ رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت {لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير}. {وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب}. ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرأت {يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك}. الآية ولكنه رأى جبريل عليه السلام في صورته مرتين، برقم: ٤٥٧٤، ١٨٤٠/٤.

[3] أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب (وسورة النجم) برقم: ٤٥٧٥، ١٨٤٠/٤؛ ومسلم في كتاب الإيمان، برقم: ١٧٧، ١٥٩/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ووجه التعارض في هذه الروايات، أن ظاهر حديث أنس ﷺ أن النبي ﷺ لما أسري به دنا منه الجبار ذو العزة فتدلى، حتى كان قاب قوسين أو أدنى وهو المفهوم من قوله تعالى: {ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى}؛ وأما حديث عائشة وابن مسعود ﷺ فظاهرهما يوهم معارضة حديث أنس ﷺ، لأنهما نسبا الدنو والتدلي في الآية لجبريل عليه السلام، ومع أن حديث أنس ﷺ لم يصرح برفعه إلى النبي ﷺ إلا أنه يعامل معاملة المرفوع لأن مثله لا يقال بالرأي عادة.

وللاطلاع على دفع هذا التعارض ينظر في بحث خاص بالمسألة[1]، ولكن يجب أن يعلم أن مثل هذه المشكلات في الروايات لا يتأتى حلُّها إلا لأصحاب الخبرة والاجتهاد في فن الحديث والرواية، ولكن هذه الروايات على تعارضها مبثوثة في كتب التفسير، وإن كان جمهورهم على تفسيرها بحديث عائشة وأنس ﷺ، وهو الصواب والأليق.

المطلب الثاني: التعارض بين التفسير الأثري والتفسير بالرأي

إن التعارض بين التفسير العقلي والتفسير الأثري هو التنافي والتقابل بينهما بمعنى أن يدل إحداهما على إثبات أمر ويدل الآخر على عكسه تمامًا، فلا يمكن اجتماعهما بحال من الأحوال، ولكن إذا وجدت المغايرة بينهما بدون اختلاف في المعنى فلا يعد ذلك تعارضًا. وذلك كتفسير العلماء لقوله تعالى: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}، [الفاتحة:٦]، فمنهم من فسره بالقرآن – أي الصراط المستقيم – ومنهم بالإسلام وبطريق العبودية وبطاعة الله ورسوله ﷺ،

[1] دفع التعارض بين الأحاديث الواردة في قوله تعالى: {ثم دنا فتدلى}، إعداد أحمد عبد العزيز القصير، محاضر في كلية المعلمين في الرس، ١٤٢٧هـ، www.tafsir.net.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهذه المعاني جميعها وإن تغايرت واختلفت ألفاظا فإنها في المعنى غير متناقضة ولا متعارضة[١].

وإنما يقع التعارض بين التفسير بالرأي والتفسير الأثري في ثلاث صور[٢]:

الصورة الأولى: وهي فرضية، حيث يكون العقلي قطعيًا والأثري قطعيًا وهذا محال.

الصورة الثانية: إذا كان أحدهما قطعيًا والآخر ظنيًا وتعذر الجمع والتوفيق، فإننا نقدم القطعي على الظني.

الصورة الثالثة: أن يكونا ظنيين، ففي هذه الحالة إن أمكن الجمع وجب حمل النظم الكريم على كليهما، وإن تعذر قُدم التفسير المنقول عن النبي ﷺ إذا ثبت عن طريق صحيح. – ويمكن – أن يقدم ما صح عن الصحابي، لأن ما صحت نسبته إلى الصحابي فإن النفس تميل إلى تصديقه لاحتمال سماعه من النبي ﷺ، ولما امتاز به الصحابة ﷺ من صحبتهم لرسول الهدى ﷺ، ومشاهدتهم للحوادث التي كانت تقع أمام أعينهم ومعرفتهم بأسباب النزول التي كان يخبرهم عنها المصطفى ﷺ.

وبعد هذا يتضح أنه إذا وجدت المغايرة بين التفسير العقلي والتفسير بالمأثور دون منافاة، وأمكن الجمع بينهما فلا يسمى ذلك تعارضًا، كتفسيرهم لقوله تعالى: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ

---

[1] انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، ص: ٣٧٦ – ٣٧٧؛ وانظر: التفسير والمفسرون، ١/٢٨٤ – ٢٨٥؛ وانظر: التفسير بالرأي قواعده وضوابطه وأعلامه، للدكتور محمد حمد زغلول النجار، ص: ١٢٥، مكتبة الفارابي، دمشق، ط/١، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

[2] انظر: التفسير والمفسرون، ص: ٢٨٥ – ٢٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الْفَضْلُ الْكَبِيرُ}، [فاطر:٣٢] قيل: إنّ السابق بالخيرات هو الذي يصلي في أول الوقت والمقتصد هو الذي يصلي أثناءه، والظالم لنفسه هو الذي يصلي بعد فوات الوقت، وقيل السابق بالخيرات هو الذي يؤدي الزكاة المفروضة مع الصدقة والمقتصد هو الذي يؤدي الزكاة المفروضة وحدها والظالم لنفسه من يمتنع عن الزكاة ولم يتصدق.

وفي الواقع لا تناقض بين هذين التفسيرين، وإن تغايرا في نوع العبادة، لأن الظالم لنفسه يتناول المضيعة للواجبات، والمقتصد هو فاعل الواجبات وتارك المحرمات والسابق من يفعل الواجبات، ويتقرب إلى الله بزيادة الحسنات.

وغالب من كتب في هذه القضية جاء على هذا المثال تبعًا للزرقاني والذهبي، وذكر الصور الثلاثة المذكورة من أوجه التعارض، ومن خلال البحث وجدت مثالاً واضحًا على التعارض بين التفسير العقلي والتفسير الأثري، وهو عند تفسير سورة الرعد في قوله تعالى: {وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ}، [الرعد:١٣].

فأكثر المفسرين على أن الرعد اسم ملك يسوق السحاب، والصوت المسموع منه تسبيحه، كما ينص على ذلك البغوي في تفسيره[1]، وفي الدر المنثور أخرج أحمد والترمذي وصححه[2]، والنسائي وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة، وابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل، والضياء في المختارة، عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: أقبلت يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: فقالوا: ((يا أبا القاسم، إنا نسألك عن خمسة أشياء...، – من بينها: قالوا: أخبرنا،

[1] معالم التنزيل، ٣٠٣/٤.

[2] انظر: سنن الترمذي ٢٩٤/٥، برقم ٣١١٧، وقال هذا حديث حسن صحيح، وحكم عليه الألباني بأنه صحيح؛ وانظر: مسند أحمد، ط الرسالة، ٢٨٥/٤، ورجال إسناده ثقات.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ما هذا الرعد؟ قال: ملك من ملائكة الله موكل السحاب، بيديه مخراق من نار، يزجر به السحاب يسوقه حيث أمره الله، قالوا: فماذا الصوت الذي نسمع؟ قال: صوته، قالوا: صدقت...)).[١]

وهكذا يسُوق روايات عديدة عن ابن عباس ﷺ وغيره، وروايات عن التابعين، وغالب هذه الروايات تستدعي التساؤل والنقد، لا سيما أن ما يتعلق بالملائكة الكرام هو من عالم الغيب، فلِمَ الخلط بين مثل هذه الروايات وبين ظاهرة كونية أشار إليها القرآن، ولها تفسيراتها العلمية عند أهل الاختصاص، لذلك وجدت في تفسير الطبري بتحقيق الشيخ أحمد شاكر، أنه استثنى كل هذه الروايات[٢] ولم يُشِرْ إليها بتاتًا، وقد كان السيوطي والبغوي وغيرهما نقلوا عنه فيما يتعلق بأن الرعد ملك وصوته صوت ذلك الملك. وعلى فرض صحة تلك الروايات، لا ينبغي أن تفسر الآية بها، والله أعلم.

المطلب الثالث: تعارض التفسير الأثري مع أصل من أصول الدين

وأكثر ما نجد هذه الإشكالية عند تفسير القصص القرآني، وما يتعلق بالأنبياء وبالأحداث التي وقعت معهم، وقد أشرت من قبل إلى قصة سيدنا سليمان عليه السلام وسيدنا يوسف عليه السلام، وهنا ينطبق الحال، كون كثير من التفسيرات المأثورة والمبثوثة في كتب التفسير عن الصحابة والتابعين، بل وبعضها مرفوع، لا تليق بمقام نبوة الأنبياء، كما في تفسير الهَمِّ الذي في سورة يوسف، فأخرج الطبري بسنده عن ابن عباس، سئل عن همّ يوسف ما بلغ؟ قال: "حَلّ الهِمْيان، وجلس منها

[1] الدر المنثور، ٤/٦٢٠.

[2] تفسير الطبري، ١٦/٣٨٨-٣٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مجلس الخاتن"؛ وعن ابن أبي مليكة قال: سألت ابن عباس: ما بلغ من همّ يوسف؟ قال: "استلقت له، وجلس بين رجليها"[١].

وروايات كثيرة يخجل الإنسان من ذكرها في حق نفسه وغيره، فما بالك بنبي من الأنبياء الكرام، وإن كان بعض هذه الروايات تدور حول ابن جريج وهو من أهل الكتاب الذين أسلموا، إلا أنها لا تخرج عن دائرة مفهوم التفسير بالمأثور في اصطلاح العلماء وعرفهم.

ومثال آخر: حول سيدنا موسى عليه السلام وذلك في تفسير قوله تعالى: { وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ }[البقرة:٦٠].

ففسروا الحجر بأنه هو الحجر الذي وضع موسى عليه السلام ثوبه عليه ليغتسل، ففر بثوبه ومر به على ملأ من بني إسرائيل حين رموه بالأدرة[٢]، فلما وقف أتاه جبرائيل فقال: إن الله تعالى يقول: ارفع هذا الحجر فلي فيه قدرة، ولك فيه معجزة، فرفعه ووضعه في مخلاته، قال عطاء: كان يضربه موسى اثنتي عشرة ضربة فيظهر على موضع كل ضربة مثل ثدي المرأة فيعرق ثم يتفجر الأنهار، ثم تسيل[٣].

---

[1] تفسير الطبري، ٣٦/١٦.

[2] "الأُدْرَةُ: نفخة في الخُصْية، والأَدَرَةُ: الخصية، ورجلٌ آدَرُ: بَيِّنُ الأَدَرَة" (لسان العرب:٧١/١).

[3] انظر: معالم التنزيل، ١٠٠/١؛ تفسير الرازي، ٩٣/٣؛ ومثل هذا الحديث في البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى بعض، وكان موسى يغتسل وحده، فقالوا: والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر، فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فخرج موسى في إثره يقول: ثوبي يا حجر حتى نظرت بنو إسرائيل إلى موسى فقالوا: والله ما بموسى من بأس وأخذ ثوبه فطفق بالحجر ضربًا). فقال أبو هريرة رضي الله عنه: "والله إنه لندب بالحجر ستة أو سبعة ضربًا بالحجر"،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبهذا نجد أن المتن قد يعارض بعض الحقائق، أو تورد عليه بعض الإشكالات التـــي لا تقل عن إشكالات السند.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

---

صحيح البخاري، كتاب الغسل، باب من اغتسل عرياناً وحده في الخلوة ومن تستر فالتستر أفضل، برقم: ٢٧٨، ١/٦٤.

الاستنتاجات والتوصيات

- تبيّن من خلال الدراسة أنَّ الحديث في الفرق بين التفسير والتأويل أمرٌ جدليٌ قد لا يصل فيه الباحث إلى نتيجة حاسمة، غير أن ما سبق ذكره من كلام العلماء في تعريف كلا المصطلحين والرجوع إلى اللغة العربية وأصول استعمالات هذين المصطلحين يعطي إضاءات في الفهم تعين على تلمس أوجه الفرق بينهما.
- إننا إذا نظرنا إلى بداية العهد بالقرآن وما كان عليه العرب من فصاحة وبلاغة لوجدنا أن المجتمع يعلم ظواهر معانيه وأحكامه، أما دقائق باطنه فإنها كانت تظهر بعد البحث والنظر، أو بسؤال النبي ﷺ، وهو بين ظهرانيهم، بمعنى أن التفسير الاجتهادي – الرأي – ظهر مبكراً متزامناً مع ما يسمى بالتفسير المأثور، ولم يكن الفهم مقتصراً على النبي الكريم ﷺ وحده، {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}[النحل ٤٤].
- الأصل أن نفرق بين مفهوم التفسير الأثري، وبين وسائله أو طرقه.
- في استعمالات أهل التفسير لكل من مصطلحات (التفسير الأثري، أو المأثور، أو النقلي، أو تفسير الرواية) أنها ذات مدلول واحد في الأغلب.
- لا بد من ضبط مصطلح التفسير المأثور بحيث يخرج منه ما ليس فيه، بحيث يأخذ كل تفسير وصفه الصحيح، وإذا أردنا أن نبقي على مسمّى التفسير المأثور فإنه يقتصر على الصحيح المرفوع إلى النبي ﷺ في تفسيره لبعض آي القرآن، وما هو في حكم المرفوع.
- يثير "تفسير القرآن بالقرآن" إشكالات، يقتضي فكّها تحديد ماهيته، ببيان الجهة المسؤولة عنه، وتعيين المقدار الذي يدخل في مسماه، والنظر في مدى حجيته، وقد تبيّن أن تفسير

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القرآن بالقرآن لا يعدو أن يكون فهم مفسِّر لآية مستدلاً عليه بآية أخرى، فهو اجتهاد ورأي من المفسِّر، وليس كما هو شائع ومسلّم عند بعض المختصين من التفسير بالمأثور.

- إنه من الظلم بمكان أن يُخص زمن التابعين وليس زمن الصحابة بالاجتهاد في التفسير، وكأنّ الحال مع الصحابة لا دور للعقل فيه لفهم النص، وهذا يشعر بإنقاص من قدر الصحابة حين نسلبهم القدرة الفذة في الفهم والاستنباط والاجتهاد في فهم القرآن، ومن ثَم فإن تفسير الصحابة هو تفسير بالرأي والاجتهاد وليس من التفسير المأثور، إلا ما أخد حكم المأثور.
- بالنسبة للتفسير باللغة العربية وكونه من المأثور أو اجتهاد ورأي، فإن كلام العرب يمثّل لنا أساسًا مهمًّا من أسس فهم الكتاب؛ وإذا كان القرآن الكريم بلغة العرب، فإن معرفة جوانبه – لغةً وصرفًا ونحوًا وبلاغةً – لا تتم إلا بالرجوع إلى كلام العرب، وتبين خصائصه ومناهجه في التأليف والتعبير، والتفسير باللغة في الوقت نفسه يحتاج إلى اجتهاد ونظر واستنباط، فهو تفسير بالرأي.
- عندما كان السؤال حول القراءات لماذا لا تذكر عند الحديث عن التفسير بالمأثور وأقسامه، تبيّن أنها لا تعدو إلا أن تكون تفسيرًا للقرآن بالقرآن، وهذا يعني أن التفسير بالقراءات اجتهاد ورأي في الغالب والله أعلم.
- كان أثر الأحاديث الضعيفة والموضوعة جد خطير على التفسير، فينبغي عدم قبولها وعدم إيرادها وتنقية كتب التفسير منها ما دام يغنينا الحسن والصحيح، فضلاً عن الفهم السليم المنضبط بشروط التفسير.
- لقد مرّ على التفسير مرحلة لعبت فيها الإسرائيليات دورها في التأثير على جدواه وقيمته، بل وعلى الفكر الإسلامي بشكل عام، وما زال بعض العلماء منقسمون حول قبول

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعضها، وقسم يرفضها بالكلية، ونحن نرى في واقعنا كيف أصبح كثير من التفسيرات الإسرائيلية من المسلمات عند عامة الناس بل وحتى من يتصدرون للدعوة والوعظ؛ وقد عرضت الدراسة مدى خطورتها لا سيما فيما يتعلق بقضية القدس وفلسطين، وإن كان من توصية في هذا المقام فهي أن تصرف الجهود من طلبة العلم وكليات الشريعة في تصفية كتب التفسير من شوائب الإسرائيليات، فلو أخذ مجموعة من طلاب الدراسات العليا تفسيراً من التفاسير الكبيرة وحققوه ونقوه من الإسرائيليات وتحسب لهم مثل الرسالة الجامعية، إضافة إلى التوعية في بيان خطورتها بشتى الوسائل.

- إن الاقتصار على حدود التفسير الأثري، وحصر دلالة الآيات بما ورد في الأثر يقيد الآيات، على عكس التفسير بالرأي الذي لم يتوقف، بل العكس، فقد طغى التفسير بالرأي على التفسير الأثري فهو – التفسير بالرأي – مدرسة متعددة المناهج في فهم القرآن، غير أن التفسير الأثري لا يعرض للمشكلات البلاغية، والمشاكل الكلامية، وهناك أمور كثيرة لا يتوقف عندها، كالقضايا الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها...، بينما التفاسير الأخرى، خاصة المعاصرة منها هي التي دخلت بالقرآن إلى الحياة ومشكلاتها؛ فحصْرُ معنى الآية بسبب النزول أو بقول لأحد السلف أو حتى النبي الكريم فيه تحجير، خاصة أن النبي لم يفسر إلا القليل من آي القرآن الكريم، ونص القرآن واضح في ضرورة تدبر القرآن باستمرار.
- إن الربط بين الآية والحديث قد يثري المعنى ويضفي عليه رونقًا وجمالاً وتأثيرًا، وبالمقابل قد يؤدي إلى خلل في المعنى المراد من الآية، وبُعدٍ عن روح النص القرآني، بل وإساءة قد تصل إلى ما يتعلق بنبوّة الأنبياء أو صفات الملائكة، لأنه في حقيقته عمل اجتهادي وليس تفسيراً بالمأثور كما هو شائع.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ينبغي البتّ في الروايات التفسيرية المتعارضة حتى لو كانت في الصحاح، لما في ذلك من إشكال ولبس على كثير من الناس فليس الجميع أهل اختصاص في الحديث ويستطيع التعامل مع الروايات المتعارضة كما مرّ في تفسير قوله: {ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى}[النجم:٨]
- قول إن التفسير المأثور – الشائع – لا تجوز مخالفته مرفوض، بل إذا كان التفسير الاجتهادي أصوب يؤخذ به ويردّ المأثور كما مرّ في مثال تفسير الرعد.
- قد يُعذر البعض في التفسير بالمأثور في بعض الأمور التي لا يترتب عليها قضايا فقهية أو عقدية، لكن أن نجد في بعض كتب التفسير ما يسيئ إلى عصمة الأنبياء ومكانتهم فإن هذا لا يقبل البتة، بل لنجعل النص القرآني ذاته وبسياقه هو الرائد لنا في الفهم، ولا يجوز زج الأحاديث في غير موضعها، والله أعلم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصادر والمراجع

- ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي، **النشر في القراءات العشر**، تقديم الأستاذ علي محمد الضباع، وخرج آياته الشيخ زكريا عميرات، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، **زاد المسير في علم التفسير**، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/٣، ١٤٠٤هـ.
- ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن، **المقدمة**، تحقيق د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، دار الكتب المصرية، ط/١٩٧٤م.
- ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد الإشبيلي الأندلسي، **أحكام القرآن**، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، ط/١.
- ابن الوزير، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المرتضى اليماني، **إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذاهب الحق من أصول التوحيد**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م. **العواصم والقواصم**، تحقيق شعيب الأرنؤوط، دار البشير، عمّان، ط/١، ١٩٨٥م.
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني، **مجموع الفتاوى**، تحقيق أنور الباز-عامر الجزار، دار الوفاء، ط/٣، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م. **مقدمة في أصول التفسير**، تحقيق: عدنان زرزور.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ابن جزي، محمد بن أحمد الكلبي، **تسهيل السبيل لعلوم التنزيل**، (تفسير ابن جزي الكلبي)، تحقيق، محمد عبد المنعم اليونسي، وإبراهيم عطوة عوض، دار الكتب الحديثة، القاهرة.
- ابن حنبل، أحمد، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة، ط/٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن، **المقدمة**، تحقيق الدكتور حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة، ط/١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري، **الطبقات الكبرى**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط/١، ١٩٦٨م.
- ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، دار سحنون، تونس، ط/١٩٩٧م.
- ابن عاشور، محمد الفاضل، **التفسير ورجاله**، دار الكتب الشرقية، تونس، ط/٢، ١٩٧٢م.
- ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق شهاب الدين أبو عمر، دار الفكر، بيروت ١٤١٤هـ. **مجمل اللغة**، تحقيق زهير عبد المحسن، مؤسسة الرسالة، ط/١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
- ابن قيّم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط/١٥، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، تهذيب وترتيب الدكتور صلاح الخالدي، ١٧/١، دار الفاروق، عمّان، ط/١، ١٤٢٩هـ -

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٠٠٨م. **اختصار علوم الحديث**، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، القاهرة، ط/٢، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م.

- ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني،**السنن**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر - بيروت، د ط.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري، **لسان العرب**، ط/٤، ٢٠٠٥م، دار صادر، بيروت.
- أبو زيد، نصر حامد، **مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن**، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط/١٩٩٣م.
- أبو شهبة، محمد بن محمد، **الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير**، مكتبة السنة، ط/٤، د ط. الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، مكتبة السنة، ط/٤، ١٤٠٨هـ.
- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب **الأصفهانى**، المفردات، تحقيق نديم مرعشلي، دار الكاتب العربي، ط/١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.
- الآلوسي، محمود أبو الفضل، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار إحياء التراث العربي - بيروت، د ط؛ بالإضافة دار الكتب العلمية، ط/١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- الأندلسي، أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**، بعناية الشيخ عرفات العشا حسونة، دار الفكر، ط/١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي، **الجامع الصحيح المختصر**، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا ط/٣، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م. **صحيح البخاري** تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، شرح وتعليق د. مصطفى ديب البغا ط١، ١٤٢٢هـ

•بدر، عبد الله أبو السعود، **تفسير الصحابة**، دار ابن حزم، بيروت، ط/١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

•البغوي، أبو محمد بن مسعود الفراء، **معالم التنزيل، (تفسير البغوي)**، تحقيق وتخريج محمد عبد الله النمر وعثمان ضميرية وسليمان الحرش، دار طيبة للنشر، الرياض، ط ١٤٢٩هـ.

•بوهندي، مصطفى، **نحن والقرآن، مقدمات في أصول التدبر**، "**دراسة منهجية نقدية في علم التفسير**"، مكتبة الجامعة الأردنية.

•البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، دار الجيل، بيروت، د ط.

•البيومي، محمد رجب، **التفسير القرآني**، مجلة الأزهر ١٤٢٤هـ.

•الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي، **الجامع الصحيح أو سنن الترمذي أو الجامع**، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.

•الجديع، عبد الله بن يوسف، **المقدمات الأساسية في علوم القرآن**، مؤسسة الريان، بيروت، ط/١، ٢٠٠١م - ١٤٢٢هـ.

•الجرجاني، علي بن محمد السيد الحسيني، **التعريفات**، تحقيق وتعليق الدكتور عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت، ط/١، ١٤٠٧هـ.

•جمعة، علي، **قول الصحابي عند الأصوليين**، دار الرسالة، القاهرة، ط/١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الجمل، محمد أحمد، الوجوه **البلاغية في توجيه القراءات المتواترة**، دار الفرقان، عمّان، ط/١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد تحقيق شهاب الدين أبو عمر، **الصحاح**، دار الفكر، ط/١٩٩٨، بيروت، ١٤١٨هـ.
- الجويني، مصطفى الصاوي، **النص القرآني بين فهم العلماء وذوقهم**، منشأة المعارف بالإسكندرية، ط/١٤١٢هـ - ١٩٩٢م. **مناهج في التفسير**، من ص: ٢٣ - ٤١، منشأة المعارف، الإسكندرية، د ط.
- الحسين، عبد القادر محمد، **معايير القبول والرد لتفسير النص القرآني**، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، ط/١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.
- الحلبي، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، تحقيق د. محمد التوتجي، عالم الكتب، ط/١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- الخاروف، محمد فهد، **الميسر في القراءات الأربع عشر**، مراجعة محمد كريّم راجح، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط/٤، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- الخازن، علي بن محمد البغدادي، **لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن)**، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط/٣، ١٣٧٥هـ.
- الخالدي، صلاح عبد الفتاح، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، دار القلم، دمشق، ط/١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م. **مع قصص السابقين في القرآن دروس في الإيمان والدعوة والجهاد**، دار القلم، دمشق، ط/٥، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- الخان، مصطفى، رسالة بعنوان: "**منهج الإمام ابن كثير في روايته ونقده للإسرائيليات**" وقد نوقشت عام ٢٠٠٤م في الجامعة الأردنية، مكتبة الجامعة الأردنية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الخضري، محمد، **تفسير التابعين عرض ودراسة ومقارنة**، دار الوطن، ط/١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- خلَّاف، عبد الوهاب، **علم أصول الفقه**، دار القلم، ط/١٠، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
- الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد، **سنن الدارمي**، دار الكتاب العربي - بيروت، تحقيق فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، الأحاديث مذيلة بأحكام حسين سليم أسد عليها، ط/١، ١٤٠٧هـ.
- الدهش، عبد الرحمن بن صالح بن سليمان، **الأقوال الشاذة في التفسير نشأتها وأسبابها وآثارها**، دار الحكمة، بريطانيا، مانشستر، ط/١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- الذهبي، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، **سير أعلام النبلاء**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- الذهبي، محمد حسين، **التفسير والمفسرون**، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م. **بحوث في علوم التفسير والفقه والدعوة**، دار الحديث، القاهرة، ط/١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م. **علم التفسير**، من منشورات دار المعارف، د ط.
- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الملقب بفخر الدين الرازي، **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
- الرافعي، مصطفى صادق، **تاريخ آداب العرب**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.
- الرومي، فهد بن عبد الرحمن، **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري**، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

•زرزور، عدنان، علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه، دار الأعلام، عمّان، ط/١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

•الزرقاني، محمد عبد العظيم، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، تحقيق الشيخ أمين الكردي، دار إحياء التراث العربي، ط/٢، بدون سنة طباعة.

•الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، دار إحياء الكتب العربية، ط/١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م. البرهان في علوم القرآن، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ١٦٣/٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م. **والنكت على مقدمة ابن الصلاح**، للزركشي، ٤٣٤/١ - ٤٣٥، تحقيق: د. زين العابدين بن محمد بلا فريج، أضواء السلف - الرياض، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

•الزفزاف، محمد، **التعريف بالقرآن والحديث**، مكتبة الفلاح، الكويت، ط/٣، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

•الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط/١، ١٩٩٧م.

•الزيات، أحمد حسن، **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية في القاهرة، د ط.

•السبت، خالد بن عثمان، **قواعد التفسير جمعًا ودراسة، دار ابن القيم** - الرياض، دار ابن عفان-القاهرة، ط/١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

•السجستاني، سليمان بن الأشعث أبو داود الأزدي، **السنن**، دار الفكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، د ط.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

•سلامة، محمد علي، **منهج الفرقان في علوم القــرآن**، دار نهــضة مــصر، القــاهرة، ط/٢٠٠٢م.

•السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، **تفسير السمرقندي المسمَّى بحر العلو**م، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ١٩٩٣م.

•السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **الدر المنثور**، دار الفكر – بيروت، ط ١٩٩٣م. **الإتقان في علوم القرآن**، دار ابن كثير، دمــشق، بيــروت، ط/١، ١٤٠٧هـــ– ١٩٨٧م. **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي**، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، ط/٢، ١٣٩٢هـ – ١٩٧٣م.

•الشاطبي، أبو اسحق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالــشاطبي، **الموافقات في أصول الشريعة**، شرح الشيخ عبــد الله دراز، ٣٥٩/٤–٣٦٠، دار الحــديث، القاهرة، ط/١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

•شاكر، أحمد، **الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث**، تأليف ابن كثير إسماعيل بن عمر، دار الفكر، ط/١، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

•الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي**، الأزهر، مجمع البحوث الإسلامية، توزيع أخبار اليوم، ١٤١١هـ–١٩٩١م.

•الشيرازي، ابن عمر الفيروز أبادي، **القاموس المحيط**، ترتيب حسان عبد المنان، بيــت الأفكار الدولية، لبنان، ط/٢٠٠٤م.

•الصالح، صبحي، **مباحث في علوم القــرآن**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط/١٦، ١٩٨٥م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

• الصباغ، محمد بن لطفي، **لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير**، المكتب الإسلامي، ط/١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

• الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م. **تاريخ ابن جرير**، دار سويدان، بيروت - لبنان.

• الطحان، محمود، **تيسير مصطلح الحديث**، مكتبة المعارف، الرياض، ط/٧، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

• الطوفي، سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الصرصري البغدادي، **الإكسير في علم التفسير**، تحقيق الدكتور عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، مصر، د ط.

• عباس، فضل حسن، **إتقان البرهان في علوم القرآن**، دار الفرقان، ط/١، ١٩٩٧م. التفسير أساسياته واتجاهاته، مكتبة دنديس، عمّان، ط/١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م. **قصص القرآن الكريم إيحاؤه ونفحاته**، ط/١، دار الفرقان، عمّان، ١٩٨٧م. **قصص القرآن الكريم صدق حدث وسمو هدف**، دار الفرقان، عمّان، ط/١، ٢٠٠٠م.

• عبد الباقي، لمحمد فؤاد، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، دار الحديث، القاهرة، ط/١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

• عبد الدائم، عبد الحق، **التيسير في أصول التفسير**، دار النشر للجامعات، ط/٢٠٠٠،١م- ١٤٢٠هـ.

• عبد الغفار، السيد أحمد، **التفسير ومناهجه والنص وتفسيره**، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠م. **النص القرآني وضرورة التفسير**، دار المعرفية الجامعة، مصر، ط/٢٠٠٣م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- عبدالفتاح، المثنى، **السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي** (رسالة دكتوراه غير منشورة).
- العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن حجر **فتح الباري**، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحب الدين الخطيب، عناية محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، والمكتبة السلفية، د ط.
- العمادي، القاضي أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى الحنفي، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ١٩٩٩م.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد، **المستصفى من علم الأصول**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/١، ١٩٩٧م.
- الغزالي، محمد، **كيف نتعامل مع القران**، مدارسة أجراها: عمر عبيد حسنة، ط٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، المكتب الإسلامي.
- **فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، للعراقي**، تحقيق محمود ربيع، دار الكتب السلفية، القاهرة، ط/٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- الفراهي، الإمام حميد الدين، **التكميل في أصول التأويل**، تحقيق وتخريج محمد سميح مفتي، نسخة غير مطبوعة – مصفوفة على الكمبيوتر.
- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، **كتاب العين**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- فرحات، أحمد حسن، **في علوم القرآن عرض ونقد وتحقيق**، دار عمار، ط/١، ١٤٢١هـ،-٢٠٠١م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الفنيسان، سعود بن عبد الله، **اختلاف المفسرين أسبابه وآثاره**، مركز الدراسات والإعلام، دار اشبيليا، ط/١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- القاضي، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد، **البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- القرضاوي، يوسف، **المرجعية العليا في الإسلام للقرآن والسنة (ضوابط ومحاذير في الفهم والتفسير)**، مكتبة وهبة، القاهرة، ط/١٤١٣هـ - ١٩٩٢م. **كيف نتعامل مع القرآن العظيم**، مركز بحوث السنة والسيرة بجامعة قطر، الدوحة، ط/١٤٢٧هـ - ١٩٩٦م.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد الأنصاري، **الجامع لأحكام القرآن**، دار الكتب المصرية، ط/٢، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.
- القضاة، أحمد مفلح، **دراسات في علوم القرآن والتفسير**، منشورات جمعية المحافظة على القرآن الكريم، الأردن، ط/٢، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- القطان، مناع، **مباحث في علوم القرآن**، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط/٣، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط/١٥، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود السمرقندي الحنفي، **تأويلات أهل السنة**، تحقيق فاطمة يوسف الخيمي، مؤسسة الرسالة، ط/١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- المجالي، محمد خازر، **الوجيز في علوم الكتاب العزيز**، منشورات جمعية المحافظة على القرآن الكريم، الأردن، ط/١، ٢٠٠٤م. **قواعد التفسير عند ابن الوزير**، مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، المجلد ٢٧، العدد ٢، ٢٠٠٠م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- مسلم، مصطفى، **مناهج المفسرين**، دار المسلم، الرياض.
- النجار، محمد حمد زغلول، **التفسير بالرأي قواعده وضوابطه وأعلامه**، مكتبة الفارابي، دمشق، ط/١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- نوفل، أحمد إسماعيل، **سورة يوسف دراسة تحليلية**، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط/١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م . **قراءة في آية (إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته)**، [الحج،٥٢]، دار الفضيلة، ودار القطوف، عمّان، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م. **مناهج البحث والتأليف في القصص القرآني**، دار الفضيلة ودار القطوف، عمان - الأردن، ط/١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م.
- النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط/١، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م.
- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري الشافعي، **أسباب النزول**، المكتبة العصرية، بيروت، ط/١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م.

مصادر الشبكة العنكبوتية

- الأنصاري، أحمد عبد العزيز، **تفسير القرآن بين الرواية والدراية** (أثر منهج بن عباس ﷺ في الاتجاهات اللغوية والبلاغية) gwww.quranway.net مجلة الشريعة http://www.sharialslamic.com
- بحث بعنوان **(أثر القراءات الشاذة في علم التفسير)** على الملتقى المغربي للقرآن الكريم، قسم ملتقى القراءات الشاذة، http://www.maroc-quran.com

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- حللي، عبد الرحمن، **التفسير المأثور: الاصطلاح والمشكلات والمسارات نحو مجالات العلوم**، موقع مسلم أون لاين – الوسطية والشهادة، http://www.moslimonline.com.
- الطيار، مساعد بن سليمان، **تفسير الصحابة**، ملتقى أهل التفسير http://www.tafsir.net
- الطيار، مساعد بن سليمان، **ورقات على ملتقى أهل التفسير** www.tafsir.org
- القرشي، عبد الله بن حماد، **القراءات الشاذة وأثرها في التفسير**، موقع الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بالطائف، http://www.comqt.org
- القصير، أحمد عبد العزيز، **دفع التعارض بين الأحاديث الواردة** في قوله تعالى: {ثم دنا فتدلى}، www.tafsir.net
- الكاتب، أبو حازم، بحث بعنوان **(حجية قول الصحابي)**، ملتقى أهل الحديث http://www.ahlalhdeeth.com
- كوريم، سعاد، **تفسير القرآن بالقرآن: دراسة في المفهوم والمنهج**، على ملتقى أهل التفسير http://tafsir.net
- نجم، خريستو جورج، **الإسرائيليات**، مقال موجود على الساحة العربية للحوار، www.alsaha.com ساحة خريستو نجم.
- نوفل، أحمد إسماعيل، **الإسرائيليات وأثرها على المخزون الثقافي**، حلقة على قناة المجد الفضائية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

NARRATIVE INTERPRETATION THE DIALECTIC OF CONCEPT AND THE METHODOLOGY

By

Anas Khalil Khadr AlShu'aibi

SupervisOR

Dr. Mohammad K. Almajali, Prof

Abstract

This Sudy tackeled one of the types of Quranic Interpretation; the narrative exegesis. It dealt with the defeinition, the problems facing it and its influence on the reality of the Quranic exgesis. The scholary classification has included in this type of exegesis what is not part of it. Therefore this study worked on crystlizing the concept and dealt with its academic problems. Then it dealt with its meth odological problems and its effects on the appoaches of some scholars of interpretation in their books and the influence of this on the method of understanding the Quran and on the Islamic thought in general.

The study followed emperical methodology for the books of interpretation and the books of sciences of the Quran and critically analysed these books to conclude that the definition of the narrative exegesis which is taken for gruanteed in the the books of Quranic Scinces is subject of criticism and should be redefined. It critically examined few issues regarding the narrative interpretation and how should be dealt with such as Israelaites, weaqk narrations, authentic narrations and their meanings and how to deal with the contradiction of some authentic narrations on the same verse.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit